روايات غادة

قلبي الرافض

جوانا وايل

www.elromancia.com

مرمورية

دار العلم للجميع
بيروت - لبنان

روايات عالمية

قلبي الرافض

جوانا وايل

عشرون سنة عاشتها كوليت في حرمان كامل، منقطعة لتربية ابنتها بعد أن تركها زوجها، لكن الماضي بالرغم من انفصاله الكامل، عاد للظهور.. وعاد الرجل الذي سبب لها كل الآلام ليهدد حياتها، وحياة ابنتها. وبدت الابنة بصيرة بصورته، تهلل وتقول للجميع أن اباها سيعود الى امها.. وامام هذا لم يعد لها خيار في مواجهته وايقافه عند حده..

لكن، هل تتمكن فعلاً من ايقافه عند حده..؟ وماذا تفعل بقلبها الخائف الذي يخفق كلما رآه، وجسدها الذي يلين كلما لامسها!.

يطلب من مكتبة الصفاء
ابو ظبي
تلفون ٧٧٢٠٥٣

يطلب من دار إحياء العلوم
الدار البيضاء
تلفون 319411

يطلب من شركة دار الفكر
تونس
تلفون 504785

وكيل التوزيع الوحيد في الكويت
المتحدة للنشر والتوزيع
تلفون ٣٧٢٨٩٩

www.elmenchera.com

ـ ١ ـ

شبح الماضي

البلدة الصغيرة كانت محظوظة لوجود مستشفى محلية جيدة فيها.. والآن بعد المال الذي جمعته كوليت وبنسلو، لمزيد من الابحاث، يمكن أن تبرز اكثر..صحيح أن اية ابحاث لن تعيد ولدين لعائلة فرومز خسروهما..أعترفت كوليت بهذا بمزيد من الحزن وهي توقف سيارتها خارج المجلس البلدي.

كانت في منتصف طريقها من الموقف حين لحقت بها ابنتها لايبي، السائرة على بضعة ياردات منها، وامسكت بها، تهزها قليلاً وهي تضحك:

ـ هاك.. أترين.. لقد حدث هذا مرة اخرى.. رجل خرج لتوه من اجمل سيارة رأيتها في حياتي، وينظر اليك.

ردت كوليت محتجة:

ـ لايي..! صدقا انا...

ـ حسن حسن.. لكن يبدو لي من الخطأ أن تبقي لوحدك هكذا امي..

انت في الثامنة والثلاثين، ويجب ان تتزوجي ثانية.. اكره فكرة ان تمضي بقية عمرك لوحدك.. بعض زملائك كانو يقولون منذأيام أن هناك نسوة هذه الايام، نسوة عاملات، يتزوجن لأول مرة، في اواخر الثلاثينات، وينجبن الاولاد.. وأن النساء الاكثر نضوجاً مع اولاد ستصبح عما قريب موضة هذه الأيام.. الناس لن يشعروا بالعزلة في كبرهم، فهم قادرون على انجاب الأطفال ويبقون في المنزل..و..

ـ آه.. ارى جيدا اين يقود هذا..انت قلقة من ان اصبح حملا عليك في اواخر عمري.. حسن جداً.. لدي اخبار لك، يا ابنتي الحبيبة، لست بحاجة لزوج كي انجب طفلاً..

ـ لا.. لكنك تحتاجين الى رجل.. وما تفكرين به غير صحيح، وتعلمين هذا.. الامر انني بدأت ادرك كم تخسرين، واذا اردت الحقيقة، اشعر بالذنب يا امي.. لولاي.. لكنت...

قالت كوليت بجزم:

ـ توقفي عندك... فلولاك لكنت استسلمت وفعلت شيئاً سخيفاً جداً في الواقع.

راقبت الصدمة على وجه ابنتها واكملت.

ـ كنت انت طوق النجاة لي لايبي.. كنت سبباً لاستمراري حية.. من ذ ك..

جفت لايبي:

ـ اكنت تحبيه بهذا الشعور حقاً.. اوه يا الهي.. لن اترك نفسي ابدا أن اكون ضعيفة امام رجل هكذا.

احست كوليت قلبها يغوص، هذا ما كانت تخشاه.. تخشى أن تكون في صدقها مع ابنتها، أثرت على نظرتها نحو الحب.

ـ حبك لشخص ما يجعلك دائماً ضعيفة ليبي، لكن هذا لا يعني أن الحب سيء. وستقعين في الحب، وستعرفين، وحين يحصل هذا، ستتسألين كيف صرخت يوما انك لن تحبي.. اعدك بهذا.

ودعت ربها ان تكون محقة، وأن لا تقطع ليبي نفسها عن العادة التي يأتي بها حب شخص ما على اساس تجربة امها.

على اي حال، كان هذا امر صحيح جداً..فكوليت كان يمكنها أن تشكل علامة اخرى، وأن تتزوج مرة اخرى.. وواقع انها لم تفعل، وكما قالت لابنتها، انها لم تجد رجلاً جعلها تحس انها ترغب به.

ام أن الامر، انها لم تسمح لنفسها بأن يكون هناك رجل بهذه المواصفات ويجعلها ترغب به؟

بقلق ابعدت الفكرة عن رأسها.

ماذا دهاها؟ امامها اشياء اهم بكثير الآن من التفكير بالماضي.. وهو أمر كان يجب ان تفكر به منذ سنوات.. لقد مضى عشرون سنة على تحطم زواجها.. بحق السماء.. عشرون سنة.. عمر كامل.. مع ذلك احياناً.. كانت ترى رجلا عن بُعد.. شيء ما حول طريقه تحركه،

www.elromancia.com

استداره رأسه، كانت تطلق قلبها يتراكض، ومعدتها تنكمش.. ويعاودها هذا الاحساس مرة اخرى.. التيه، الاسى، الفرح الحزن، الالم، العذاب، عدم التصديق والغضب.

لم تدرك انها توقفت عن السير إلا بعد أن امسكت لايبي ذراعها وقالت تمازحها:

- لا فائدة امي.. لقد تأخر الوقت للتراجع الآن.. الجميع ينتظرك..

نظرت الى ثوب كوليت الكحلي الانيق بياقته البيضاء واضافت:

- لا زلت اعتقد أن الشورت والسترة الصغيرة مع الشرائط الذهبية، كانت ستبدو رائعة عليك..

فتذكرة الثوب الملفت للنظر الذي تضعه لايبي، ابتسمت كولييت وردت.

- لشخص في مثل عمرك، وساقين لا نهاية لهما.. ربما.. لكن بالنسبة لي.. أبدا!

قاعة البلدية كانت ممتلئة، بحر الوجوه التي واجهتها وهم يديرون رأسهم ليسجلوا دخولها.. لتحس بالذعر لحظة.. مع انها ظنت نفسها حاضرة..

لم تحب يوما الجموع، وتفضل العزلة، عدم البروز، وهذا ميراث من طفولتها، في الميتم الذي تربت فيه بعد موت والديها، وعرفت انها لولا

وقوف ابنتها خلفها، تسد عليها سبيل التراجع لكادت تلتفت وتهرب يائسة.. ووجدت مارتن هانسون يتقدم نحوها، مبتسماً..

كما كانت لايبي قد علقت سابقاً، ولو انها ابدت اقل تلميح بانها مرحبة، لكانت علاقتهما اصبحت على مستوى شخصي اكثر.

لكن، والحال على ما هو، كانت معجبة فعلاً برئيسها، تشارلز دين، لكن لأي واحد منهما، كانت تحس بشيء عاطفي، او رغبة، قد تشجعها بالتجاوب مع اي منهما.. كلاهما مطلق، وكلاهما له اولاد.. كلاهما لطيف، جذاب.. لكن بقدر ما هي معجبة بهما كاشخاص، كرجلين، كانا يتركانها باردة تماماً، دون احساس، دون اثارة.

هل السبب انها اختارت متعمدة أن تكون هكذا؟ الأنها خائفة؟.. غاضبة من مسار انكارها حاولت أن تذكر نفسها بسبب وجودها هنا.. فالليلة ليلة روبي، وليلة كل من تبرع بكل سخاء لقضية امثاله..

الليلة هي قمة العديد من العمل الشاق للعديد من الاشهر.. برفع قضية روبي الى مركز الاهتمام، عبر الصحافة المحلية والوطنية، وجمع المال بكل الوسائل لأبحاث حول الاعاقة العقلية والجسدية عند اطفال حقله.. اطفال نادرا ما يعيشون حتى سن البلوغ.. اطفال جلهم ذكور يولدون لأناث يحملن جنية ما، يبدو انها هربت من المراقبة مع انها نادرة جداً، ولا يوجد عنها تفاصيل كافية لاستمرارية الابحاث.

الليلة ليلة روبي، وليلة من اعطى بكرم للقضية. ولقد ترددت كثيرا في

www.elromancia.com

البداية حين عينها الاعضاء الأخرون في لجنة جمع التبرعات لتكون من يقدم الشيك علنا للمستشفى، لكن، بدلاً من إثارة ضجة حول الامر، وافقت مرغمة.

تشارلز دين كان قد اقترح ان تخرج معه الليلة بعد حفل التقديم الى مكان لوجبة احتفال، لكنها رفضت بلطف كما رفضت دعوة مماثلة من مارتن ستيلمان.. تشرح لهما، صادقة، انها لم تعد ترى ابنتها كثيراً بعد دخولها الى اوكسفورد وانها تنوي قضاء الامسية معها.

كانت لايبي في سنتها الاولى في اوكسفورد، تدرس اول فصول درجتها الجامعية، ولو كانت لايبي فخورة بامها فكم يا ترى ستكون الام فخورة بابنتها؟

لم تكن الحياة سهلة بالنسبة للايبي.. طفلة وحيدة دون أب.. دون مزايا الدعم المالي.. كان من السهل جداً ان تكبر متمردة ساخطة، تعيسة ووحيدة، لكن منذ البداية تقريباً، كانت طفلة مرحة سعيدة بطبيعتها. المشكلة بالنسبة لكولبيت انها كانت تحب الرجلين كصديقين لها، وآخر شيء تريده أن تجرح مشاعر أي منهما، فهي تعرف ما يكفي عن حب شخص، ثم اكتشاف أن الحب الذي تظنه متبادلا ما هو سوى عار قاسي ولا ترغب مطلقاً أن يحس بمثله احد يوماً.. هكذا لم يكن في رغبتها ان يكون لها علاقة حميمة مع اي منهما.

عرفت تشارلز دين منذ عدة سنوات. وفي الواقع دخلت الى الجزء من

العالم الذي هو فيه بعد انفساخ زواجها مباشرة.

يومها، كان السكن في هذه المنطقة رخيص جداً، وبما انها كانت مطلقة، وتنتظر مولوداً، وليست لديها الكثير من المال، فقد كان لهذا تأثير كبير.

حين اعلن والد لايبي انه لم يعد يحبها، وانه يريد الطلاق، قال لها أن بامكانها الاحتفاظ بمنزل الزوجية، وانه لا يريد سوى حريته، لكن كرامتها لم تسمح لها بهذا.. وهكذا بعد أن تم الطلاق، باعت المنزل واوصلت الى محاميه نصف الثمن.

بدأ الناس يصفقون وهي تتقدم نحو المسرح الصغير. واحست بالمرارة الحارقة للحرج، واللون الاحمر يجتاح بشرتها..في الثامنة والثلاثين يجب أن تكون قد مرت بمرحلة الاحمرار خجلاً وكأنها فتاة مدرسة. منذ وقت طويل.. وبدا لها انها آخر الواصلين.. فالآخرون كانوا على المسرح، الصغير روبي داخل كرسيه المتحرك يبتسم لها وهي تتقدم للأنضمام اليهم.

وهي تراه يبتسم لها، لم تستطيع منع الدموع من أن تملأ عينيها، ليس من الحزن، بل من الفرح، الفرح لكرم الناس ودفئهم، الفرح لحب روبي البريء للحياة.

في هذه اللحظة كان مرضه قد تلقى امراً بتأخير التنفيذ.. لكن الى متى؟

www.elromancia.com

راجعت افكارها، تذكر نفسها أن العواطف لوحدها لم تفعل شيئاً لمساعدة روبي.. وأن الجلوس في الزاوية للبكاء لم تجمع المال اللازمة للابحاث، لكنه كرم الناس والعمل الشاق.

وهي تأخذ مكانه مع الاخرين، نظرت الى الناس المجتمعين في القاعة.. ورأت لايبي، وليس بعيداً عنها تشارلز دين.. هل مضى حقاً عشرون عاماً منذ بدأت العمل لتشارلز دين كسكرتيرة؟ اين بحق الله ذهبت كل هذه السنين؟.

خلال تلك المدة، كان تشارلز متزوجا، ثم تطلق.. وكبرت لايبي من طفلة صغيرة لتصبح امرأة.. وهي.. ما الذي فعلته هي بحياتها؟ ما الذي حققته على المستوى الشخصي؟

لقد اصبح لديها الامل الحالي، حياة مرضيه جداً، وتعرف أن الكثير من الناس يحسدونها.. كما أن هناك آخرون، تعرف تماماً، انهم يشفقون عليها لوحدتها وعيشها دون رجل.. لكن هذا لم يقلقها يوماً.

رئيس لجنتهم الصغيرة، كان يقف، ليشرح للمستحقين الهدف من جمعهم للمال.. وتكورت عضلات معدتها وهي تنتظر دورها.. تلك اللحظة حين تضطر الى الوقوف وتقدم الشيك الى مارتن.

في مؤخرة القاعة، كان هناك اناس من الراديو والتلفزيون المحلي يسجلون الحدث، حركة الكاميرا، الاضواء الساطعة، لفتت انتباهها لحظات، حتى انها نظرت بعيداً عن المسرح..

كيف حدث ما حدث لا تدري.. لماذا بالضبط ودونما تركيز التقطت وجها واحدا من بين العديد من الوجوه، وجه لم تشاهده منذ عشرين سنة.. بالتأكيد ما كان الممكن أن تتعرف اليه بهذه السرعة. أن تعرف، وبهذا الادراك المحطم للاعصاب، الموقف للقلب.. انه هو.. حتى من لمحة واحدة قصيرة.. توماس هنا.. هنا في قاعة البلدية.. هنا في بلدتها.. في هذا المكان، في الحياة التي بنتها بتصميم، لتعزل نفسها. وتعزل كل شيء، يذكرها به.

كل شيء ما عدا الطفلة التي اعطاها لها.. والالم الذي سببه لها.

توماس نورن.. زوجها.. حبيبها.. الرجل الوحيد الذي احبته ابداً.. الرجل الذي ظنت انه احبها بالطريقة نفسها.. الرجل الذي قال لها انه يحبها، والذي توسل اليها لتتزوجه، والذي قال لها انهما دوماً سيبقيان معاً، طوال الحياه والى الابد..

الابد! ولم يدم زواجهما سوى اكثر من سنة بقليل.

بدأت ترتجف بعنف، وقلبها يخفق بصدمات مرضية بينما دماغها يرفض ان يستقبل ما رأته عيناها.. لا بد انها غلطة، ولا يمكن ان يكون هذا توماس.

عشرون سنة، على اي حال، زمن طويل.. طويل بما يكفي لأن تخطىء.. ولأن تتلاعب بها ذاكرتها.. توماس الذي تتذكره لم يعد له وجود.. ومثلها تماماً لا بد انه تغير.. وكبر في السن.

www.elromancia.com

عاودها الاحساس بالمرض، بالغثيان.. اذا كانت قد تعرفت اليه.. اذن فهو...؟ توقفت عن التفكير.. دماغها كان يمثل ادوارا اكروباتية بهلوانية مستحيلة.. ماذا.. لو كان بصدفة غريبة.. هذا هو توماس؟.. حتى ولو تعرف عليها فمن غير المعقول أن يتقدم الى المسرح ويعلن للجميع انها يوما كانت زوجته.. أيمكن هذا؟ لماذا هي خائفة هكذا؟

تقديم الشيك!

توترت اعصابها مجفلة.. وقد راعها أن تدرك انها توقفت عن سماع خطبة الرئيس، وأنها في نحوى عشرة ثواني او ما يقارب، طغى على سبب وجودها على المسرح صدمة التفكير برؤيتها زوجها السابق.. والآن وهي تركز محمومة على ما كان يقوله الرئيس، ادركت أن الوقت حان لتقف وتقدم الشيك.

- والآن اود أن اقدم لكم الناشطة الاولى في جمع المال، التي من دونها كل هذا المشروع ما كان لينجح، كولييت وينسلو.

وقفت كولييت.. كانت قد رجعت الى اسم عائلتها بعد الطلاق.. ولسبب ما، وهي تقف، ارتدت نظراتها نحو القاعة المزدحمة، وكأنها تتوقع رؤية توماس واقفاً ليعلن انها تتنكر تحت اسم مزيف. لكن ولو كان توماس، لماذا بحق السماء يريد الاعتراض على عودتها الى اسم عائلتها؟ فهو من انهى زواجهما.ومن اعلن ان الأمر انتهى.. وانه لم يعد يحبها.. وان هناك غيرها..

بطريقة او اخرى تمكنت من الغاء خطابها القصير، ثم قدمت الشيك، مع أن يداها كانتا ترتجفان بعنف حين اخذه مارتن منها.

حين انتهى الأمر، تقدمت لايبي قلقة متلهفة اليها، تسألها ما اذا كانت بخير:

- كان على وجهك نظرة غريبة حين كنت على المسرح.. حتى ظننت للحظات انك ستغادرين. وعرفت انك متوترة.. على اي حال، انتهى الأمر الآن.

ابتسمت كولييت، واكملت لايبي:

- لا تهتمي امي.. كنت لامعة، بالرغم من توترك. والآن، ماذا عن الوجبة التي وعدتني بها، قبل أن يقفز احد معجبيك ليقنعك بأن ينضم الينا؟.

نظرت اليها كولييت بضعف.. في الواقع آخر شيء تفكر فيه هو تناول الطعام في الخارج. معدتها كانت لا تزال متكورة، وقلبها وكأنه ينعصر.

تمتمت لايبي:

- بسرعة.. تشارلز يتجه نحونا.. صدقاً امي لست ادري لماذا لا تتزوجي تشارلز المسكين.. انه يحبك، وتعرفين هذا.. فكري بالحياة التي ستحصلين عليها.. سيدلك حتى الموت..

- يعجبني.. لكنني لا احبه.. ايصدمك هذا؟ ايصدمك انني في مثل

www.elromancia.com

سني اعتبر الحب مطلوب قبل الزواج؟ اظنه بالنسبة لمن في سنك امر طبيعي!.

- لا.. انت مخطئة.. وأنا بالطبع لا أظنك كبيرة في السن على الحب.. لكنني مندهشة من رغبتك أن تحبي.. لطالما كان لدي انطباع انك، وبسبب ما حصل مع.. مع أبي.. انك اخرجت الحب من حياتك. وظننت انك تفضلين نوعاً آخر من العلاقة مع تشارلز.. يدلك يعتني بك..

- لن يكون هذا عادلا له..

- لا.. اعتقد.. لكن لا بد من وجود اوقات تشعرين فيها بالوحدة.. ترغبين في...

قاطعتها امها بصراحة:

- في علاقة مع رجل.

نظرت اليها ابنتها جانبيا.

- اجل.. مع انني ما كنت لاضعها في شكل مباشر هكذا..

حاولت ادارة دفة الحديث:

- ما اريده الآن هو العشاء.. لقد حجزت لنا طاولة في ذلك المطعم الايطالي الجديد، من المفترض أن يكون جيداً.

وكان جيدا.. على الأقل من تمتع لايبي بالطعام.. أما كولبيت، فقد وجدت نفسها دون شهية.. سألتها لايبي:

- ماذا بك امي؟

ثم صمتت تلتفت الى مدخل المطعم:

- همم! هذا ما ادعوه رجلاً! ومن المؤسف انه كبير السن بالنسبة لي!

ادارت كولبيت رأسها برد فعل آلي، نحو من تعلق عليه لايبي.

ثلاثة رجال دخلوا المطعم.. لكنها لم تر سوى واحد منهم.. هذه المرة، لا مجال للخطأ.. لا مجال للشك.. واحست بضربة مباشرة الى قلبها، ليصاب جسدها بالخطر، وتجمد دون حراك.

توماس.. انه توماس!

- امي.. ما الأمر؟ ماذا اصابك؟ تبدين وكأنك رأيت شبحاً لتوك.

شبح..! وأرتجفت بعمق، والتوى فمها بألم.

من خلفها سمعت صوته.. عميق رجولي مؤلم بألفته.. صادم بوضوح ذكراه:

قالت مرتجفة:

- ليبي.. أنا لا اشعر انني بخير.. اتمانعين ان نغادر؟

وقفت كولبيت مبقية ظهرها نحو الرجال الثلاثة.. هناك امل ضعيف ان يعرفها.. ثم لماذا يعرفها؟ واحست بالمرارة.

دفعت نفسها عن الطاولة، لترتجف، مسرورة بذراع لايبي الدافئة ملتفة حول كتفيها تحميها.

www.elromancia.com

- امي.. هناك خطب ما.. فلنذهب فوراً الى المنزل. وساتصل بالدكتور مارتن ستيلمان. من خلفها احست كوليبت بحركة، بشخص يجفل، يستدير، لكنها لم تستطع ان تلتفت، لم تستطع فعل شيء سوى الجمود والارتجاف.. والتوق للهرب.. كانت تعرف أن من المستحيل الشرح للايبي ماذا دهاها.. وكرهت نفسها لتسببها القلق لابنتها، ولافسادها امسيتهما معاً.. لكن.. كيف يمكنها الاستدارة الى ابنتها الان والقول: اتعرفين ذلك الرجل الذي كنت تبدين اعجابك به؟ انه والدك؟

قالت لايبي حين وصلتا الى السيارة:

- من الافضل أن اقود السيارة انا.. لقد اصبحت بيضاء شاحبة هناك.. هل هناك شيء خاطيء أني..؟ اعرفك واعرف كراهيتك لأن يقلقني شيء.

ردت بثبات:

- لا شيء خاطيء..اظنني اعاني ردة فعل متأخرة لاحداث هذا المساء.. كنت خائفة من القاء الخطاب.. وتعرفين كم انا طفلة امام الاحداث العلنية.. وانا اسفة لأفسادي لك وجبتك..

- حسن جداً.. بكل تأكيد تبدين افضل بكثير الآن اواثقة انك لاتريدين استدعاء مارتن؟

- توقفي عن الضجيج..! انا بخير. نوم جيد، وصباح الغد ساعود الى طبيعتي.

كانت تعلم أن هذا غير صحيح.. لكن،ولله الحمد، صباح الغد ستعود

لايبي الى اكسفورد.. ولأول مرة منذ غادرت ابنتها منزلها، ارادت فعلاً أن تراها تذهب.. والتوى فمها بسخرية مريرة.

www.elromancia.com

ـ ٢ ـ

اللقاء

العاشرة صباحاً من يوم مشمس جميل.. كوليت امامها النهار كله، ومئات من الاشياء تقوم بها.. مع ذلك كل ما كانت تحس باتها تحب أن تفعل، هو التسلل إلى الفراش ثانية، كحيوان ضعيف يسعى الى الحماية، والسلوان تقريباً، اذا لم يكن من الحياة فمن افكارها على الاقل.. وذكرياتها المعذبة.

يا الهي.. لو انها فقط يمكن أن تكون مخطئة.. لو من رأته لم يكن توماس.. تعلم علم اليقين انها ليست مخطئة.. انه توماس، مع أن ما يفعله هنا في البلدة، امر مجهول لها.. ربما رحل الآن.. وبدأ توترها يزول.. تصورته يقود سيارته مبتعداً عن البلدة، زوجته، خليفتها الى جانبه.. تصورت مؤخرة رأسه، وشاهدت السيارة المسرعة تختفي عن الانظار.

كانت يومها في الثامنة عشر حين التقته.. وكان في الواحدة والعشرين، يقترب من الثانية والعشرين.. كلاهما كان مدعوا الى حفلة عيد ميلاد.. نظر اليها عبر الغرفة، وعرفت...

عرفت ماذا؟ عرفت انه سيحطم قلبها؟ يدمر حياتها؟ انه سيدّعي حبها ثم ينقلب رأساً على عقب ويقول أن ذلك الحب لم يعد له وجود؟ وأن زواجها كان غلطة؟.

من حسن حظها انها كانت قد رتبت امر حصولها على عدة ايام راحة من العمل تتوافق مع وجود لايبي عندها.. فآخر شيء ترى نفسها قادرة على فعله الآن هو التعاطي مع تعقيدات عملها كسكرتيرة لتشارلز ومساعدة شخصية.

كان لديها كذلك لقاء فيما بعد هذا اليوم مع مارتن لاعمال مكتبية لها علاقة بمشروع جمع المال.. وعرض مارتن بكل لطف أن يصحبها للغداء، لكنها رفضت بكل رقة.

سألت نفسها بخشونة: ما الذي دهاها؟ لماذا لا تستطيع التخلي عن الماضي، تدع مخاوفها، وما يسكنها وتسمح لنفسها ان تتورط بحميمية أكثر مع رجل آخر؟

كانت تعرف الرد على هذا. فقد جرحها توماس بحدة لم تعد بعدها قادرة على المخاطرة بأن تعاني مثل ذلك الالم مرة اخرى.

لا مجال في حياتها لمثل هذه المشاعر.. فالنساء الناجحات مثلها عاقلات ومشغولات اكثر من اضاعة الوقت في التفكير بمثل هذه المشاعر.

ام انهن لسن هكذا؟ وانها لم تسمح لنفسها بالتفكير لنفسها، لأنها خائفة مما قد تواجه؟

كانت ستقابل مارتن في الساعة الثانية، والساعة الآن الحادية عشرة، ولقد وعدت نفسها أن تهاجم الذبابة الخضراء التي تفتك بورودها.

بيتها الصغير لم يكن له حديقة كبيرة، لكن حديقته كانت محاطة بجدار من الآجر، ربّت بقربه، عبر السنين، وبكل حب ورداً قديمة الطراز لذيذة الرائحة.. تحتها كانت مساكب من مزروعات ريفية تقليدية: فاوانيا، الخطمي، الدلفينوم وزهرة «الانتسائي» اواذن الفأر، التي تبذر لنفسها، وتنمو نصف برّية، والتي يدوس عليها قط الجيران، الذي ليس لها قلب أن تمنعه من ممره المقفل عبر الزهور.

تنظيف الزهور من الذباب الأخضر كان عملاً يشغلها تماماً، ولن يكون امامها وقت لتكمله قبل وقت خروجها لمقابلة مارتن، اضافة الى انها مضطرة لأنهاء عمل البيت.. وبنظرة آسفة على الحديقة المشمسة، اتجهت الى الطابق الاعلى، لتعري سرير لابيي من اغطيته.. اول ما رأت وهي تدخل الغرف، كان الدب القديم، يجلس على قمة خزانة الادراج.

لقد اشترته لها قبل ان تولد.. وتقدمت تلتقطه، عكس مرارة قديمة، عيناها ضبابيتان بالذكريات.

كان ذلك في يوم بارد ممطر، يوم تلقت الرسالة من محامي توماس، يحدد الشروط الرسمية لطلاقهما، ذلك الطلاق الذي تمنت حتى تلك اللحظة أن لا يحدث.. اعطاها المنزل، السيارة، كل ما في حساب توفيرهما المشترك.. فهو على عكسها، كان له عائلة غنية، جدته لأمه

تركت له المال، وبماله اشترى منزلهما الجميل، واسس شراكة مع زميل له سمسار.

كانت قادرة على مقاومة الطلاق، قادرة على جعله ينتظر كل الفترة القانونية. ولكن كرامتها، لم تسمح لها ان تفعل هذا.. اما بالنسبة للمال، فقط سمحت لمحاميها أن يأخذ نصف قيمة المنزل، لا اكثر ولا اقل، ثم انتقلت من المنطقة على الفور، لتبدأ حياتها من جديد. وفي اول رحلة لها الى هنا.. اشترت الدب..

استطاعت أن تتذكر بوضوح كامل.. الصفاء الحاد لتفكيرها وما جرى من تقدير لسرعة الباص.. من معرفتها أن كل ما عليها ان تفعل هو الخروج منه الى الشارع، ولن يعود هناك أي ألم.. أي عذاب، اي وحدة.. أي.. أي شيء..

كانت قد تقدمت حتى حافة المفرق، خطت الى الامام، وخطوة الى الشارع، ولاول مرة احست برفسات طفلها..

غطت بطنها بكلتا يديها، اشارة فورية غريزية للحماية، صدمة، ألم، واجمل الم مر حلو عرفته في حياتها... ساعتها لامسها احدهم.

- الافضل أن تتنبهي للزحام حبيبتي سائقوا الباصات هؤلاء..

وانتهت لحظة الأزمة.. وعادت سالمة الى الرصيف، تهتز، حست بالغثيان، والدموع ترقرق في عينيها.. حية! لكن الاهم، أن طفلها حي..!

وبخت نفسها بحدة: لقد صعدت الى هنا لترتب الفراش، لا أن تفكر

www.elromancia.com

بالماضي وتشفق على نفسها، واعادت الدب بحزم الى مكانه، وارتدت تشد المفارش عن السرير.

في الساعة الواحدة بدأت تستعد لمقابلة مارتن، ارتدت ملابسها بعناية، فستان كحلي بسيط بياقة واسعة، وخفان انيقان مماثلان.

كان من حق لايبي ان تحتج بأن خزانة ملابس امها بحاجة الى انعاش، وانها لا زالت صغيرة وجميلة لترتدي على الدوام مثل هذه الالوان الفاتحة والازياء الكلاسيكية.

تفحص اخيراً لمكياجها اثبتت أن ظلال العيون الملون الذي تضعه، يعطيها الدرجة اللازمة من التركيز على عينيها.. فمها، كان دائماً يسبب لها وقفة اجفال.. ما من طريقة مخادعة، او حتى اكثر احمر الشفاه شحوباً، يمكن أن يخفي امتلاءه الشهي..و..

وابتلعت بقوة.. لطالما قال لها توماس. «لك حقاً اروع فم.. مصنوع فقط للتقبيل..»

ارتجفت بعمق، وبالكاد منعت نفسها من ملامسة شفتيها.. فالذكرى واضحة حادة.. ولقد كانت مثيرة بشكل لا يصدق، ودون خبرة تماماً حين التقت بتوماس.

لكن وعيا مختلفاً، أكثر صحية من الحياة اوصلها الى مجموعة مختلفة من المواقف والقيم.. وكما قالت لها ابنتها بكل الجدية والثقة بالنفس للشباب: انها حين تحب، فسيكون هذا مع شخص مجرب يمكنها تاريخه

الشخص من الشعور بالامان معه.

لايبي، كانت من الجيل الجديد من الشابات اللواتي يعتبرن ان المستقبل العملي، الاستقلال المالي هي الهدفان الرئيسيان لحياتهن.. اما الزواج والعائلة فامور تمكنها الانتظار الى ان تتحقق هذه الاهداف.. لكن ايمكن حقاً تحقيق هذا حسب رغبة الانسان حين يقرر أن الوقت حان لادخالها الى حياته؟.. أم أن كوليت ينقصها هذه الارادة وهذا الايمان؟ أم ان هناك شيئاً ناقصاً في كيانها يجعل من المستحيل أن تنسى توماس حقاً؟ أن تنسى الالم الذي سببه لها؟

مع الوقت، تمكنت من اقناع نفسها أن ما جرى ليس غلطتها، وانه توقف عن حبها، وليس بسبب نقص فيها، انقلب الى امرأة اخرى.. وأن مثل هذه الامور تحدث كل يوم، ولكنه امرا يشعرها كمنبوذة، شخص فشل في اهم علاقة في حياة انسان.. هكذا توقف توماس عن حبها، وجرحها.. وتألمت كثيراً..

ربما لايبي على حق مرة اخرى.. وربما الآن هو الوقت الملائم لها للتفكير بمستقبلها الخاص..

ثم ماذا؟.. تتزوج شخصا مثل تشارلز او مارتن... رجل قد تُعجب به، ولا يمكنها أن تحبه لمجرد أن تتجنب الوحدة في سنينها المتقدمة؟ أوليس هذا مثير للاشفاق واناني تماماً مثل حبها الشديد لتوماس تماماً؟ لا.. هي افضل حالا لوحدها.. واكثر اماناً!.

www.elromancia.com

ارتجفت قليلاً وهي تخرج من المنزل.. امامها اشياء تفعلها، حياة تحياها، ولقد وعدت الصغير روبي أن تزوره فيما بعد هذا المساء. واذا كان في نفسها ندم واحد سرّي، فهو انها لم ترزق بمزيد من الاولاد، فهناك شيء مميز سحري، متواضع، حول معرفة أن التعبير الجسدي عن الحب قد انتج طفلاً..

صعدت الى سيارتها، وادارت المحرك.. لقد آن الوقت لتضع مثل هذه الافكار بحزم ورائها.. مع ذلك، وكما قالت لايبي، انها في الثامنة والثلاثين وهذا سن صغير بما يكفي لانجاب طفل آخر.

وصلت الى المستديرة القريبة من المستشفى قبل ان تدرك انها قادت سيارتها عبر البلدة دون ان تعي حقا ما تفعل.

الساعة الآن الثانية تماماً، ودخلت الى قسم الاستعلامات لتقول للموظفة مبتسمة أن لديها موعد مع الدكتور ستيلمان.

- اجل.. بالطبع سيدة وينسلو.. سابلغه انك هنا.

عبر السنين اعتادت ان يناديها الناس سيدة وينسلو.. عودتها الى اسمها الاصلي كان نوعاً من التمرد على علاقتها بأي شيء اعطاه لها توماس. ادارت رأسها والفتاة تستخدم الهاتف الداخلي ثم استدارت مجدداً حين سمعت الفتاة تقول:

- لو سمحت أن تذهبي الى مكتب الدكتور ستيلمان. شكرتها مؤكده انها تعرف طريقها، واتجهت الى المكتب.

كان عليها أن تمر بعنبر الولادة، وعبر بابه المفتوح سمعت بكاء وليد جديد.. وتقلصت احشائها لذلك المزيج الذي لا ينسى من الاثارة والحب.. بدا لها من المستحيل ان تمر اكثر من تسعة عشر سنة منذ ولادة لايبي.. وتذكرت كم كانت سعيدة مهتاجة حين ابلغوها انها ولدت ابنة.. كم كانت فخورة.. كم.. ابتهجت.. ثم بعد ذلك جاء الذعر، الاحباط، الدموع، والبؤس بمعرفتها انها في كل هذا الصراع لوحدها، وأن لا شريك لها في سعادتها لولادة الطفلة، باب مكتب تشارلز كان مقفلاً، فطرقته بلطف، ثم فتحته ودخلت.

توقعت ان تجد تشارلز لوحده.. لكن لم تكن صدمة ادراكها ان هناك شخصاً آخر معه هي التي اوقفتها جامدة دون حراك.. بل كانت صدمة اكتشافها ان الرجل الذي معه كان توماس.

توماس.. هنا.. في مكتب تشارلز.. احست بجسدها كله ثقيل ومُخدر.. ولم يعد قادراً على اطاعة اوامر دماغها.. وفي نفس الوقت كانت معدتها تتكمش، نبضها يتسارع دون سيطرة، حتى خشيت ان تتقيأ حيث تقف.

تشارلز، دون وعي منه لصدمتها، كان يبتسم لها، ويتقدم ليقف الى جانبها، ويضع ذراعيه بودية حول كتفيها ويقول بحرارة:

- توماس، اريدك أن تقابل صديقة عزيزة كوليت وينسلو.. كوليت كانت المحرك الاساسي خلف المشروع، ولقد عملت بجهد اكبر بكثير

www.elromancia.com

من الجميع.. وابتسم لها بشغف. ثم اكمل:

- هل سافرت لايبي بخير هذا الصباح؟ من المؤسف انها لم تستطع البقاء معنا مدة اطول.. مع ذلك، فهذه سنتها الاولى، ولا نريد أن يفوتها شيء من دروسها.. ولايبي هي ابنة كولبيت.. ويجب أن اعترف اني لا زلت اجد صعوبة في التصديق بأن كولبيت ام لطالبة في الجامعة.

احست كولبيت أن وجهها بدأ يحترق، بمزيج من الصدمة واللهفة.. ولم تستطع اجبار نفسها على النظر الى زوجها السابق.. لم تستطع أن تتحمل الازدراء وعدم الاهتمام اللذان لا تشك في أن تراهما في عينيه.. كانت تعلم ان تشارلز يقصد اطرائها وانه بالفعل يراها اصغر سنا من الثمانية والثلاثين وانه حقاً يجد صعوبة في التصديق انها ام لايبي.. لكن كل هذا لم يمنعها من الاحساس السري بالحرج وكانها من تلك النسوة اللواتي يحبين دائماً في القول لكل من يسمع انها تزوجت طفلة صغيرة.. وانهن وبناتهن كالشقيقات!

كانت تراه ضمن دائرة بصرها.. كان يقف في الظل داخل الغرفة. رأسه موارب قليلاً، وكأنه لا يريد النظر اليها، والتعرف اليها، كان شعره، كما لاحظت، لا زال اسود كما كان دائماً.. لم يلامسه البياض، وسميك املس كعادته. تذكرت كم كانت تحب أن تلامسه، أن تتحسس التوثب الناعم لخصلاته تحت اصابعها.. وتحسده على هذه الخاصية الطبيعية المحروقة منها..

كان قد علمها العديد من الاشياء حول جاذبيته وجاذبيتها.. ليس فقط على اساس الاتحاد الجسدي، بل لأشياء حميمة صغيرة مختلفة التي يمكن ان تثور لأدق، واخف، وانعم، لمسة، قد تكون احياناً غير متوقعة.. كان معها، لطيفاً ومشبوب العاطفة، مطالباً وصبوراً.. كان أفضل العشاق، واسوأ الأزواج.

تحرك فجأة، يحرك اصابعه، حركة غير مألوفة لها، ولأنها هكذا كان يجب أن تريحها من ارتباطها بذكرياتها غير المرغوبة.. لكنها بدلا من هذا تحت في انضباطها النفسي، وتصاعد الالم والاسى داخلها.. لقد تغيرت ولا شك انه تغير، ومن الغباء، اكثر من أي مقياس، أن تحزن على عدم معرفتها بشيء مضاف الى تصرفاته.

الى جانبها كان تشارلز لا زال يتكلم:

- كولبيت منفردة لوحدها تقريباً، نظمت الحملة لأجل روبي فرومز.. ولهذا اردتكما أن تلتقيا.. كولبيت... توماس هو..

لم تستطع تحمل المزيد.. الصدمة الاولى تلاشت لكن ما تبقى في مكانها كان اسوأ منها.. نوع من التوتر السقيم، مضاف الى الم.. وشيء اخر.. شيء لم تستطع تحمله او تحليله.

قاطعته بصوت مرتجف:

- تشارلز.. انا اسفة.. اخشى أن لا استطيع البقاء.. سعى دماغها المندوخ الى عذر لرحيلها المفاجيء، ورأت من زاوية عينيها ان توماس

ادار رأسه، واخذ ينظر اليها.

التقت نظراتيهما، عينان زرقاوان تلتقيان بعينين رماديتين.. كل عصب ليس له نهاية في جسدها انفجر بألم الى الحياة.. ولطالما كان الامر هكذا طوال تلك السنين.. يومها نظر اليها بعينين الزرقاوين المذهبتين.. وثم..

لكن النظرة في عينيه يومها كانت نظرة اعجاب، او انجذاب ولهفة.. لكنها الان نظرة...

نظرة ماذا؟ تساءلت دون وعي.. لماذا، وجسده اصبح اكثر نضوجاً من نحوله العشريني وإنما الآن ببنية طويلة عريضة اعطتها له الطبيعة.. اصبح وجهه منحوت بحدة، اقسى بكثير ورجولي الى حد صارم.

حركة جسده الخفيفة، اعادت جذب اهتمامها، فاتجه نظرها دون وعي نحوه، حتى انها دققت بالعضلات التي تبدو تحت بشرته، واحست اكثر بجسده، برجولته، بطريقة ما كانت تعي فيها اي رجل منذ سنوات.

رددت بصوت اجش.

- انا.. انا..يجب أن اذهب، وعدت روبي أن ازوره..

احتج تشارلز:

- لكنني ظننت اننا سننهي الاوراق الرسمية للحملة.. وانا..

- اسفة تشارلز لا لا استطيع البقاء..

كانت تتعثر وهي في طريقها الى الباب، تعي بيأس الطريقة التي يراقبها توماس فيها، ومتلهفة بيأس اكبر، للهرب من الغرفة قبل ان تفقد اعصابها بالكامل ويصيبها الذعر.. ولو بقيت في هذه الغرفة مع توماس لحظة اخرى..

هذا بحد ذاته صدمها واخافها اكثر من احساسها بوجوده.. لقد جرحها بسؤ، حتى انها صدقت أن لا شيء سيجعلها تنسى ذلك الالم. مع ذلك حتى قوى بضعة ضربات قلب، وجدت نفسها بتهور، وخطر، تتجاهل الحقائق، وتسمح لنفسها ان تتظاهر انهما لا زالا معاً.. زوجان.. اثنان.. انهما لا زالا.. لا زالا ماذا؟ أحية؟.

موجة المرارة التي اجتاحتها لدرجة الاختناق مضت عليها قصتها الخائنة.

تشارلز الذي لحق بها الى الباب ومد يده ليؤخرها....سأل:

- هل انت بخير؟ تبدين.. مختلفة.. وأنا..

- انا على ما يرام تشارلز.. لكنني اشعر بالذنب لأني نسيت أني وعدت روبي بزيارته اليوم. تذكرت وانا في طريقي اليك، وبدا لي من الافضل أن اعتذر بنفسي.

لم تكن تعرف انها تمتلك هذه القدرة على الخيال.. او الكذب.

كان يبتسم لها، ويبدو والقلق عليه، لكنه، كما هو، لم يحاول منعها او سؤالها.. وما أن وصلت الى سيارتها، حتى ادركت انها لم تعرف ابدا ماذا يفعل توماس في البلدة.. والاهم من هذا، الى متى ينوي البقاء..

www.elromancia.com

لايبي.. واحست بعودة الغثيان.. كيف ستشعر لايبي لو عرفت أن والدها كان هنا في البلدة، وان امها.. لم تقل لها كلمة عن وجوده؟ لكن لايبي لم تعبّر يوماً عن رغبة في محاولة تقص أثر ابيها.

وهي تجلس في السيارة، تعلم ان صدمتها اكبر من أن تسمح لها بالقيادة، اسندت رأسها على مؤخرة المقعد، واعترفت بقلق انها الآن معرضة لخطر اضافه ذنب الى احمالها العاطفية.. واذا كانت قد تعرفت بهذا الرعب لمجرد رؤيته، فكيف ستتمكن من مجرد التفكير بما سيحصل لو لامسها..

لامسها! صوت هستيري صغير يقبقب في حلقها..آخر مرة لامسها فيها، كانت آخر مرة عاشرها فيها كزوجة، اقل من اسبوع قبل ان يقول لها ان زواجهما انتهى.

ارتجفت بعنف، وعيناها ضبابيتان مغشيتان بالدموع.. زمور سيارة اخرى اعادها بجدة الى واقعها، والى مسؤوليتها كسائقة ان تنتبه الى ما تفعله.

— ٣ —

يجب أن أعرف!

حين وصلت كولبيت الى المنزل، كانت ترتجف، بردة فعل جسدية لصدمتها وتشوقها العاطفي.. صعدت الى الطابق العلوي. تنعش بشرتها الحارة بالماء الباردة تحاول ارجاع جسدها الى طبيعته، وفي نفس الوقت لتخفيض الحرارة التي تحرق داخلها.

كيف ستفسر تصرفها السخيف لتشارلز؟ لقد كذبت عليه، كذبة واضحة غير حكيمة، ولا بد انه عرفها، وهي تكره الخداع من اي نوع..وهذا ارث من ماضيها ومن معرفتها أن توماس وهو يعاشرها، كان يفكر بأمرأة اخرى.

لفترة طويلة طويلة، بعد تركه لها، لم تترك نفسها تفكر بخيانته، وساعدها حملها على هذا لأن مثل هذه الافكار المدمرة للنفس سيعيد المها، لكن اخيرا، جاء وقت، وبعد ولادة لايبي بوقت طويل، حيث وقتها لم يعد مشغولاً بالكامل بمسؤوليتها، وفرحها بابنتها الحبيبة.. وتساءلت ساعتها، بثورة والم، كيف تمكن توماس أن ينام معها بمثل ذلك الشوق

www.elromancia.com

والحب، وبصدق ظاهر وحب جارف، بينما بعد ايام ابتعد عنها بتمرد جسدي، يرفض اية لمسة منها، او توسل اليد التي مدتها نحوه، وهي تتوسل اليه أن يشرح لها، ان يساعدها أن تفهم، كيف يمكن لحبه أن يموت، وكيف يمكن له ان يقول لها انه لم يعد يحبها..وأن زواجهما انتهى.

اتصلت بأم روبي، تسأل اذا كان بالامكان زيارته في وقت مبكر، كي تعطي كذبتها لتشارلز بعض المصداقية.

الوقت الذي امضته مع روبي وعائلته، تركها تحس بارتفاع المعنويات والتواضع في نفس الوقت تحس وهي تتألم بالصفاء والقوة المشعة التي يملكها الصبي وفي نفس الوقت تدرك محطمة الفؤاد بالضعف المميت لجسده.. فهو في ارتخاء كامل، تأثيرات حالته السيئة، متوقفة في الوقت الراهن.. لكن ليس للأبد...

وجودها مع عائلة فرومز، لا بد جاء بمشاكلها العاطفية الى صورتها الطبيعية، واقنعت نفسها بهذا وهي عائدة الى المنزل.. وبدلا من مساعدتها على نسيانها، لم تستطع إلا أن تحسد الابوين على مشاركتهما لحب ولدهما..ولاولادهما الآخرين، ومقارنتها بحالتها المستوحشة.. فهما بالرغم من كل يأسهما وتحكم قلبهما، كان لهما شيء، انكره عليها.

شاركها توماس الرغبة في عائلة كبيرة.. ولاولاد، كان يمازحها ان سبب اصراره على الزواج منها بسرعة لأنه مستعجل لأن يصبح ابا ويبدأ

سلالة خاصة به. ولطالما ضحكا كثيراً لهذا في تلك الايام...

حين وصلت الى المنزل كانت ترتجف بشدة جعلتها توقع المفتاح.. وسمعت رنين الهاتف من الداخل.. لكن الى ان فتحت الباب.. كان قد توقف.. على الارجح أن يكون تشارلز، يتصل ليعرف ماذا حصل لها لتتصرف كما تصرفت.

كان رأسها يؤلمها، ذلك الالم البارد القليل الذي والشكر لله انها لم تعد تعاني منه كثيراً مع مرور الوقت والمزيد من الخبرة به لتعرف ما تفعل.. كل ما تستطيع في الواقع أن تفعل، هو أن تأخذ دوائها على الفور، ثم تصعد الى غرفتها لتنام. وبهذا تأمل أن تتجنب نوبة قوية.. ولا حاجة للسؤال ما الذي تسبب هذا.. الضغط على الاعصاب، هذا التوتر، فلتسمه ما تسميه، إلا انها تعرف انه نتيجة مباشرة لرؤيتها توماس..

اغمضت عينيها وهي مستلقية على السرير وقد تناولت الدواء.. تعذبها ذكرى صوته الدافيء، الثقيل بالحب، وانفاسه المتحشرجة فوق بشرتها يقول لها مقطوع الانفاس:

- بنات.. اريد بنات.. على الاقل نصف دزينة بنات.. كلهن يشبهن امهن الشهية المرغوبة.

احتجت، مخدرة بدفء حبهما:

- ماذا لو جاءنا صبيان فقط؟

- عندها سنبقى نحاول.. اليس كذلك؟

www.elromancia.com

بعدها اطبق فمه على فمها، وكل حديث له معنى، توقف ولوقت طويل.

هذه الذكرى مر عليها اكثر من عشرين سنة، مع ذلك كانت واضحة وكأنها حدثت بالامس.

ربما كان الافضل لها لو كرهته.. لكن هذا السلوان أنكر عليها ايضاً.. بدلا منه، عانت عذاب الخسارة واحاسيس مدمرة للنفس من الفشل والعار.. وايمان راسخ من الصعب استئصاله انها بطريقة ما، لم تكن تستأهل أن تحب، وانها فاشلة كأمرأة.

عبر السنين، استطاعت ان تسيطر على هذه الاحاسيس المدمرة للنفس، حقاً لكنه سبب آخر لقلقها ان تتورط في اية علاقة اخرى.. كانت خائفة أن تثق بحلمها الخاص.. خائفة، ان تسمح لنفسها أن تصدق أن أي شخص يمكنه أن يحبها، لمجرد الحذر من أن يحدث لها نفس ما حدث مرة اخرى.

كانت اقراص الدواء بطيئة في تأثيرها..ولفترة طويلة اخذت تغفو وتعود من نوم متوتر مليء بالذكريات الماضية.. وبتوماس.

مع كل هذا، وبعد أن اخذت الاقراص مفعولها استدارت الى جانبها، وكأنها تلوي جسدها امام شريك يشاطرها الفراش.

لطالما قال لها انها مغرية بشكل غير معقول.. حتى حين كان يقولها كانت عيناه تعتمان باللهفة والرغبة تقول لها بالضبط كم كان يتمتع برؤية

خصوصياتها.. وهذا وجه من الحياة لم تكن تعرف بوجوده الى أن قابلته.. وجه حتى الآن تبقيه سرا. شيء ما كانت تشاركه معه، لوحدهما، وكأنما حبهما كان يعطيها الحرية، الثقة لأن تخطو خارج الصورة التي تظهرها للعالم، وتشاركه الحمام وتظهر له كل مفاتنها الطبيعية لها كأمرأة.

استيقظت من حلمها فجأة وجسدها يرتجف.. تغرق في العرق.. وتدرك أن شخصا ما يقرع الباب بالفعل..

تحركت على الفور ترد على الطرقات، تسللت بارتباك من السرير، التقطت روبها، وارتدته بسرعة وهي تنزل السلم.

بسبب صداعها، كانت قد نسيت ان تضع سلسلة الامان على الباب.. وهي تفتحه الآن انفتح على مصراعيه حتى أن الرجل الواقف في الخارج عبس قليلاً قبل ان يخطو الى الدرجة الداخلية.

لاحظت كولبيت عبوسه، من زاوية بعيدة في دماغها، الجزء الوحيد الذي بقي حرا إثر الصدمة المخدرة الشالّة لرؤية زوجها السابق يقف امامها..

صاحت بصوت ضعيف:

- توماس:

وجوده، دون توقع كامل، باعقاب الحلم الذي اعاد لها ذكرياتها، كان اكثر من أن يستوعبه دماغها بشكل منطقي.

www.elromancia.com

اقفلت الباب خلفه، وتحركت اليه دون تفكير.. جسدها ناعم دافيء من أثر حلمها.. احاسيسها لا زالت مثارة من ذكريات حبهما.

وكررت:

ـ توماس!

هذه المرة الارتجاف في صوتها لم يكن سببه الصدمة.. يدها كانت ممدودة في نصف الطريق اليه احاسيسها مذهولة ومشوشة بحقيقته ووجوده. كانت قد نسيت أن تربط روبها في عجلتها لترد على الباب، وهي تتحرك، انفتح الروب، وفي برودة الردهة وعتمتها، وقع النور الداخل من النافذة على حنايا صدرها، بلون ذهبي دافيء حيث كان الروب ينكشف.

القماش الابيض الناعم لملابسها الداخلية، لم يكن يغطي شيئاً... وقال لها:

ـ انا اسف.. لم يكن لدي فكرة انك لست لوحدك. كلماته الخشنة القاطبة اعادتها الى واقعها.. فتراجعت على الفور، وجهها محمر بالحرج والخجل بعد أن ادركت كم اقتربت من.. من ماذا؟ من تخليد الخزانة العاطفية التي كانت تحتل احلامها، أن تحاول قلب هذه الاحلام الى واقع بأن تتوسل لتوماس أن يعاشرها مجدداً؟

بغثيان، وثورة على النفس، ادارت ظهرها له تربط روبها باصابع مرتجفة، ثم تطوي ذراعيها على صدرها، قبل ان تستدير اليه تقول:

ـ ليس هناك احد معي.. ماذا تفعل هنا توماس؟ ماذا تريد؟

لقد ذهب الحلم الآن. التوى فمها قليلاً بمرارة. ما جاء بتوماس الى دارها، تعرف جيداً انه ليس الرغبة بها.. فهل هو خائف ان تقول للناس انهما كانا يوماً متزوجان؟ هل يحركه الذنب، والخوف، او ربما مجرد الفضول؟

ـ انت لوحدك؟

عدم التصديق في صوته جعلها تتوتر.. الآن وقد استيقظت تماماً، بدأت تدرك اية صورة قدمتها له حين فتحت له الباب.

حتى في سن الواحدة والعشرين، كان يمتلك حساسية خاصة، معرفة كاملة بالطبيعة الانثوية، وقدراتها على ان تكون حساسة ومتجاوبة..مما ارعبها دائماً واذهلها.

فلنضف على هذا عشرون سنة اخرى من الخبرة في الحياة.. وعرفت انه لا بد قد احس انها فتحت له الباب في حالة تهيج جسدي ظاهر.. حتى ولو أن ذلك التهيج تلاشى تماماً، وهي نفسها لا تصدق انه مرّ بها.

ام انها لم تكن راغبة في الاعتراف انه مرّ بها.. وأنها بعد عشرين سنة، قادرة وبكل الم واذلال أن تهتاج من مجرد ذكرى حية.. مع انها تعرف أن العلاقة الحميمة التي كانت بينهما كانت مجرد خداع من جهته.. وانه لم يكن يوماً ملتزماً كما كانت..

كم مرة، وهما معاً، في وقت كانت تظنه مستغرق في عمق رغباته

www.elromancia.com

لها، كما هي في حبها ورغبتها له؛ كان سراً، يبعد نفسه عنها، ويسمح لها فقط بالايمان ان لها التزامه الكامل وحبه..؟

هذا السؤال عذبها دون توقف طوال السنوات.. يجعل من المستحيل لها ان تثق بحكمها على الرجال.. يجعل من المستحيل لها أن تقيم اية علاقة عاطفية جديدة.

حتى، من الممكن، انه فكّر يوم تزوجها انه يحبها.. او ربما.. وبعد فوات الوقت، ادرك انه لا يحبها.

وضعت يدها على جبينها.. لا زال الصداع يؤلمها، والالم ينتشر ببطء الى عنقها وعضلات كتفيها.

وهي تستدير عنه، سمعته يقول:

- الا زالت تصيبك.. نوبات الميغران هذه؟ صوته بدا خشناً وكأن هناك غصة في عنقه وضاقت حنجرتها استجابة، والالم يتصاعد داخلها ردت بحدة.

- اجل.. لا زالت تصيبني.. لكني واثقة انك لم تأت الى هنا لمناقشة نوبات الميغران.. ماذا تريد؟ على اي حال، كلانا يعرف انك ما جئت الى هنا لأجلي.

تصلب جسدها كله وهي تلاحظ المرارة التي كانت في صوتها.. لماذا تفعل هذا بحق السماء؟ اتريده أن يعرف كم لا زال الماضي يؤلمها؟.

سمعته يصدر صوتاً صغيراً.. يمكن ان يكون أثراً لصدمة، وربما شيء من الازدراء.. ارادت ان تستدير وتواجهه، ان تقول له أن لا هدف لوجوده هنا في ردهة منزلها، لكنها افتقدت الشجاعة لتفعل هذا.. وعرفت انها لو استدارت ونظرت اليه..

- جئت اكلمك عن لايي.

الآن استدارت اليه. عيناها مشوشة قلقة.. قلبها بدأ يخفق بسرعة والذعر يتملكها.

لقد عرف.. لا شك انه عرف.. لقد خمّن، او سأل.. لكن كيف؟ هي نفسها لم تكن تعرف انها حامل حين تركها.. وحتى لو انه خمّن.. ماذا يهم هذا الآن وبعد الكثير.. والكثير من السنوات! لايي لها.. ولها لوحدها.. رتعاظم الذعر في داخلها، إذا كان هذا الرجل يظن نفسه قادر على دخول حياتيهما بكل بساطة و..

- اجل.. لايي.. ابنتك.. وابنتي!

كان الامر اسوأ من لو لم تكن محضرة..

احست موجات محذرة من الغثيان تضعف قوتها. دوار، غثيان، بدأ في معدتها وأنتشر في كل جزء من جسدها حتى انها لم تستطع ايقاف نفسها عن الارتجاف..

- كولبيت!

www.elromancia.com

تقدم نحوها..فتصرفت بردة فعل غريزية، وتراجعت بعيداً عنه.. صوتها متوتر الماً وخوفاً وهي تصرخ، تقريباً:

- لا..لا.. لا تقترب! ارجوك!

آخر كلماتها كانت تأوها وليس صراخاً، صوتها متكسر مهزوم، وجهها شاحب متعب وهي تحس المها ينقلب على نفسه ويحترق داخلها.. انها امرأة الآن، ولم تعد طفلة.. انها قد تخطت، بكل تأكيد مرحلة التصرف الهستيري، والحاجة الى السيطرة على النفس، على كل حال ما هو الضرر الذي يمكنه ان يفعله لعلاقتها بلايبي الآن؟ لايبي لم تعد طفلة يمكن اختطافها منها انها شابة راشدة مكتملة.

من خلفها كان توماس يتكلم، صوته فيه الحاح، تقريباً يائس:

- اخبريني كولييت.. هل هي ابنتي؟ يجب أن اعرف.

ـ ٤ ـ

الستر

تنفست كولييت عميقاً، ثم نفسا آخر.. ما الفائدة من الكذب والمراوغة؟ طوال حياتهاالراشدة كانت تفتخر بصدقها..

قالت بشدة:

- علمياً.. اجل.. انها طفلتك.. لكن في كل وجه آخر من وجوه الحياة.. لا.. انها ابنتي لوحدي.. حتى انك لا تعرف بانها ولدت.. ولم تهتم.

صمتت، غاضبة من نفسها لتركها مشاعرها تخترق سيطرتها على نفسها بهذه السهولة.. وسمعته يقول:

- لا اريد اخذها منك كولييت، وليس هذا سبب وجودي هنا.. والله يعلم كم اتمنى أن لا اقول هذا..لكنني اتمنى لو انها لم تكن ابنتي.

يتمنى لو لم تكن ابنته.. حدقت كولييت به غير مصدقة، متجمدة في قبضة الغضب.. يبلغ حد الثورة.. قوى لدرجة انها تأخرت عدة لحظات

www.elromancia.com

تسأل نفسها عن السبب، وبعد أن حررها من خوف مطالبته بلايبي يجب ان تشعر بمثل هذا الغضب لرفضه لها.. ورغبته التي ابداها علناً بأن لا تكون إبنته.

قالت متصلبة:

ـ اذا كنت تخشى ان تقوم هي او أنا بأي نوع من المطالبة منك..

قاطعها:

ـ لا تكوني سخيفة.

فنظرت اليه بمرارة تتحداه ببرود:

ـ ما الامر اذن؟ أهي زوجتك.. ام اولادك؟ الا تريدهم أن يعرفوا؟ هل انت خجل الى هذا الحد منا.. من واقع انك كنت متزوج يوماً وأني، انا، زوجتك الاولى غير المرغوبة، ولدت لك طفلة؟ لو كنت لا تريدني أن احمل بها، كان يجب أن تكون اكثر حذراً، لكن، وكما اذكر، بدوت متحمساً جداً لتصور أن ترزق اولاد، كما كنت انا بالضبط.. في الواقع..

ـ ليس لي زوجة ولا اولاد.

كلماته بطيئة، مليئة بالم لا يمكن الخطأ فيه.. وصمتت.. فتحرك بارتباك:

ـ اسمعي.. هل لنا، ارجوك، ان نناقش هذا الامر ونحن جالسين..؟ انا..

قطبت، ولاحظت انه يعرج قليلاً:

ـ آه.. انت مصاب في ساقك.. ردة فعلها كانت عفوية، انثوية حاضنة.. حركتها الصغيرة نحوه، توقفت حين تحرك هو، لكن متراجعا عنها وكأنما ليبعدها عنه.

ـ لا شيء مهم.

كان فظاً، موجزاً، يرفضها.. مرة اخرى، كما ادركت والاحراج يصبغ بشرتها. فقالت:

ـ غرفة الجلوس من هنا.. ارجوك تفضل.. ساذهب واضع الابريق على النار.

لم تكن تريد شيئاً تشربه، لكنها كانت بحاجة الى الوقت لتستوعب ما يحدث. دماغها قد يكون يسجل واقع ان وجوده في منزلها ليس له دخل بها كأمرأة.. ولا شيء له دخل في ماضيها كزوج وزوجة.. ولا بحميمتهما كعاشقين.. لكن جسدها كان يرفض بتمرد ان يتقبل نفس الحقيقة. جسدها كان..

جسدها كان يتجاوب مع وجوده الجسدي، بنفس الطريقة التي كان يتجاوب فيها مع الاحلام عنه، اعترفت لنفسها بهذا بكل مرارة وهي تسرع الى المطبخ، وتقفل الباب ورائها.

رأسها كان لا زال يؤلمها.. لكن الرعب الباعث للسقام الذي قفز في داخلها حين فكرت انه جاء، يطالب بلايبي، زال الآن.

وغلي الماء في الابريق، وضعت الشاي، وضعت اشياءه على صينية، حين عادت الى غرفة الجلوس، كان توماس يقف امام النافذة، يدلّك دون وعي فخذه الايسر.. حين سمع قدومها توقف عن حركته، وتقدم اليها يأخذ الصينية منها، يسألها اين تريد ان تضعها، بعد أن قالت له، اخذ يهنئها على ديكور الغرفة.

- لك موهبة في قلب اية غرفة الى مكان دافيء مرحب.

نظرت اليه، عيناها سوداوان من الالم. تتخلى عن حذرها وهي تحس بالجدية وراء كلماته.. وبدا أن وجوده هنا، كان يعذبه بطريقة ما.

- اذن.. ليس هناك ادنى شك ان لايبي ابنتي. الكلمات كانت كئيبة، موزونة.. وبسبب ما رنة صوته جعلتها ترتجف.. ولم تستطيع ان تتكلم فهزت رأسها بالايجاب.

- إذن.. هناك شيء يجب أن اقوله لك.. شيء انا بنفسي لم اكتشفه إلا بعد زواجنا.. وإلا.. ما كنت..لدي نفس الاعتلال الخلقي مثل روبي فرومز.. لكن يبدو أنني لا أعاني من الاعراض العادية والعجز الجسدي الذي يعانيه الاطفال المصابين الوارثين لهذا الاعتلال.. لكنني احمل هذا المرض ومن المحتمل جداً ان تكون لايبي تحمله.

بدأت كولييت تخرج من كرسيها، وتتقدم نحوه.. مجروفة بدافع غامر، أن تلف ذراعيها حوله كما تفعل لروبي الصغير، أن تضمه اليها، وتقول له أن لا بأس عليه، وانها موجودة هنا وانها تحبه.. ثم ادركت ما كانت

تفعل، وعادت للجلوس فجأة، جسدها كله يرتجف. ليس بمجرد الصدمة الى العلن، وجعلتها تدرك، وبالتأكيد، أن الزمن لا يشكل فارقاً ابداً. وأن قلبها بقي مجمدا مع الزمن، قلب فتاة صغيرة وقع في حب عميق معه. لكن، لا يمكنها ان تبقى تحبه.. انه غريب الآن.. جسديا مألوف لها.. لكن بكل طريقة اخرى..

- اعرف انك صدمت.. لقد مررت بعشرين سنة لاعتاد على الفكرة. لكنني لا زلت اذكر كيف احسست يوم اكتشفت الحقيقة، ولم يكن لدي فكرة انك كنت تحملين طفلاً.. ظننت.. يجب ان نقول لها بالطبع..

استغرقت كولييت عدة لحظات لتفهم ما يعني. كانت لا تزال تحاول استيعاب التصريح المرير.. ماذا يعني بالاكتشاف؟ كيف اكتشف الامر؟ لماذا لم يقل لها شيئاً؟

- الله يعلم أن هذا آخر شيء اريده.. أن أقول لطفلة بريئة انها ورثت جرثومة مني.. أن اكون مسؤولاً عن التسبب بالام لشخص آخر.. ما كان يجب أن يحدث هذا.. لو انني عرفت بحملك..

سألته مرتجفة:

- ماذا كنت ستفعل؟ تجبرني على الاجهاض! تجبرني على التخلص من طفلنا.. كما تخلصت مني تماماً.. من زوجتك؟ اذا كنت تحس هكذا، فلماذا لم تقل شيئاً.. لماذا تزوجتني اصلاً..؟

www.elromancia.com

انت قلت انك تريد اطفالاً.

- انها قصة طويلة.. وانا لم اجيء الى هنا لاندب حظي كوليت. لم اصدق عيناي ساعة شاهدتك على المسرح، ثم مرة اخرى في المطعم.. ثم اليوم لأعرف أن لديك إبنة.. ابنة راشدة. قاطعته بمرارة:

- ماذا تفعل هنا على اي حال؟

- يبدو انني من الصنف النادر.. من النادر لحملة جرثومة الخلل من الذكور أن يعيشوا الى سن الرشد.. هذا عدا معاناتهم للتأثير الجسدي للمرض.. واقترح علي الاخصائي الذي يشرف عليّ أن اجيء الى هنا لمقابلة تشارلز. هناك بحث ينفذ الآن، على حقن مصل مضاد يؤخذ من ذكور يحملون المرض الى اطفال يعانون المرض.. انه نوع جديد من العلاج.. لكن يبدو انه يساعد على ايقاف المرض عند حده.. المشكلة الوحيدة ان العلاج ينجح فقط من امصال مضادة من ذكور بالغين حاملين للمرض.. ولا يوجد منا الكثير..

تحرك بارتباك من كرسيه، وقطبت.. ساقه..الهذا تؤلمه؟

- اذن، بالصدفة فقط عرفت بأمر لايي؟

- اجل.. لكني بما انني عرفت الآن.. يجب ان تعرف.. ربما تريد أن تأخذ خطوات للتأكد أن لا تمرر هذا المرض بدورها. وهذا قرار غير سهل بالنسبة لشابة على مشارف الحياة. ولكنها في النهاية...

ازداد عمق عبوس كوليت:

- انت لا تقترح أن على لايي وجوب تعقيم نفسها.. اليس كذلك؟

- هذا ما يبدو منطقياً.. الطريق الاعقل.

- اتعني انك تريد أن تنكر عليها حقها في ان تنجب؟

- ما اعنيه أن احميها واى طفل قد تنجبه من الالم والمعاناة.. والموت في النهاية.

كلماته جعلت كوليت تجفل، وجلست الدموع في عينيها.. وقالت:

- ليس بالضرورة أن يكون المرض هكذا الآن. هناك فحوصات جديدة، طرق علاج جديدة.. ويمكن لها أن تختار البنات فقط.. فكيف يمكن لك التفكير بحرمان ابنتك من حقها بأن يكون لها اولاد؟

وثقل صوتها بالعاطفة.. فوقف توماس:

- اتظنني ان هذا سهل عليّ؟ كل هذه السنوات من الاعتقاد، من التفكير.. وما أن اكتشفت الحقيقة حتى اجريت عملية عقم..

- عقم..؟ لكن..

قاطعهما متجهماً:

- لكنك كنت قد حملت. ولم اعرف بهذا.. الديك فكرة عما يعنيه لي اكتشاف أن لدي طفلاً.

ردت بمرارة:

- اجل.. اظنني اعرف.. واحمد الله انك تركتني يوم تركتني توماس..

www.elromancia.com

لأنه كان سيحطم قلبي اكثر لو علمت انك لا تريدني أن احمل طفلتك.. وشكراً لله انك لم تعرف انني حامل.

اصبح بلون شاحب غريب، جعل عظام خديه تبرز من تحت بشرته السمراء، وعيناه تعتمان وتصبحان وكأن لا لون لهما. كان، كما شاهدت، رجلا يعاني من صدمة شديدة، لكنها لا تستطيع عرض اي تعاطف معه.. ليس بعدما عرفت لتوها.

قالت له بهدوء:

- اشكرك على اتعابك لنفسك والمجيء لرؤيتي..

وقفت تتقدم الى باب غرفة الجلوس تفتحه وتقف هناك بكل حزم.

- سأتأكد من أن تعرف لايي.. كل شيء.

بطريقة ما استطاعت إبقاء رأسها مرتفعاً، ووجهها دون تعبير، وهي تضيف بوقار:

- والآن.. اذا كنت لا تمانع أن ترحل..

وهو يقف كاد يتعثر، واحست بالالم يغزوها.

- كولبيت، ارجوك.. انت لا تفهمين..انا..

- انت مخطيء توماس.. افهم تماماً.. لقد كرهتني لحملي منك، واتوقع منك ان تكره لايبي ايضاً لأنها الطفلة غير المكتملة.. اهذا ما تشعر به توماس؟ الاطفال المكتملين وحدهم لهم حق بأن يولدوا؟

- كولبيت.. ارجوك.

- لا.. لا اريد سماع المزيد.. اخلاقياً، ومعنوياً، عملت كل ما يجب أن تقوم به. وسأتأكد ان تعرف لايبي بما حدث.

- اذا كنت ترغبين أن اكون معك حين تقولي لها.. نظرت اليه بمرارة.

- لماذا.. كي تستغل لحظة ضعفها وتقنعها بالتعقيم؟ لا.. شكرا لك توماس، انا قادرة على التعامل مع هذا الأمر دون مساعدتك.

وصل الباب الأمامي.. وتوقف ثم استدار يقول لها بهدوء:

- لم اكن اعرف بهذا حين تزوجنا.. كان الأمر فيما بعد.. بعد.. قاطعته:

- بعد أن التقيت بها. بالمرأة التي احببتها اكثر مني.. اكثر من زواجنا.. حسناً، انا سعيدة انك لم تكن تعرف توماس.. فلو عرفت لما سمحت لي أن احمل.. مهما كان الألم الذي ستسببه لي، اي معاناة، اي عذاب.. لكنني مستعدة ان امر بعذاب اكبر بعشر مرات لمجرد ان احمل لايبي بين ذراعي كما حملتها ليلة ولدت.. تلك اللحظة جعلت كل شيء حدث لي غير هام.. انها تستأهل كل لحظة بؤس سببتها انت لي.

فتحت الباب الأمامي له، وراقبته وهو يسير ببطء يخرج منه، ورأسه منحني.. وجهه مشاع عنها، لكن ليس قبل أن ترى نظرة البؤس في عمق عينيه.

الدموع من رجل مثل توماس.. إبتسمت بمرارة لنفسها وهي تقفل الباب

www.elromancia.com

وترتجف خلفه.

بعد نصف ساعة كانت تقف في الحديقة دون أن تدري كيف وصلت الى هناك.. وقطبت للورود التي لا زالت مطبقة، دون أن يكون لعبوسها علاقة بعدم استعداد الورود بعد للتفتح.

ارتجفت قليلاً.. هكذا كذلك الجنس البشري يحقد ليعانق كل ما يعطيه الوهم بانه يحبه.. يهتم به.. يريده.. ويعاني من نفس التأثير المرير ما أن يدرك ان ما ظنه حبا لم يكن سوى كذب وخداع ظالم.

لقد فات الوقت لحماية لايبي الآن..وابقائها في جهل مما تعرفه امها لتوها شيء لم يكن لديها الجرأة المطلوبة لتفعله.

الخوف، الحب اللهفة، الحاجة أن تحمي، الحاجة لتلطيف الصدمة.. تخفيف الالم الذي لا بد ان تعانيه ابنتها، هذه ومئات المشاعر الامومية تصاعدت داخلها، ومعها احساس آخر: الذنب.. لو انها كانت تعرف..

ماذا كانت ستفعل؟ أن تختار أن لا تنجب؟ ربما.. أن تختار أن لا تتزوج توماس اصلاً؟

اذهلها كيف ان قلبها رفض الفكرة الاخيرة.. كان توماس لها اكثر اهمية من أن تكون اما.. لقد احبته بعمق، ولن تتمكن ان تدير ظهرها اليه الى رجل آخر.. رجل قد يعطيها اطفالاً اصحاء...

مع ذلك، ما كانت ستفعل لو أن توماس أخبرها عن تاريخه الطبي بعد أن حملت بلايبي وهل كانت ستختار اكمال الحمل، ان تخاطر في أن

يولد لها صبي مع كل التعقيدات، ليس لها فقط، بل الاكثر اهمية للطفل ايضاً؟ ام انها كانت..؟ لقد كانت محظوظة انها ولدت انثى..

ويكون الامر للايبي اسهل بقليل.. سيكون لديها الخيار أن تستفيد من الطب الحديث.. والتحول للحمل بالاناث.. وأن لا تحمل بالذكور.. واذا احبها رجلها كما تستاهل ابنتها ان تحصل على الحب، وكما تريدها ان تحصل على الحب.. اذن لن يكون هناك مشكلة.. لكن الحياة ليست دائماً بهذه السهولة، بهذا اللطف..

اذا لم تستطع كره توماس لما فعله بها.. فعليها الآن على الاقل ان تكرهه لأجل لايبي.. لأجل الارث الذي اعطاه لطفلتها الحبيبة.

حاولت أن تجلي دماغها.. ان تفكر بمنطق وهدوء. قلبها كان يخفق بسرعة هائلة.. واحست بالسقام والتوتر.. كانت الصدمة لا زالت تدفع بهرمون الاحتياج عبر دمها.، ليرسل جهازها العصبي الى اوج ذعره.

ماذا كان حدث لو لم يرها توماس ويعرف ان لايبي ابنته؟ ماذا كان حدث لو بقيت لايبي جاهلة؟

بينما تفكيرها يعمل بسرعة.. يتعامل مع الاشياء العملية الصغيرة للترتيبات التي تحتاجها.. كان قلبها لا زال يخفق بسرعة..معدل نبضاتها تتسارع بشكل خطير.

تساءلت ما إذا كان توماس قد غادر البلدة الان.. انها تأمل هذا.. لا تظن انها قادرة على تحمل المزيد من الاتصالات به، او حتى رؤيته..

وليس فقط بسبب ما قاله لها.

كرهت الضعف الذي اظهرته حين رحل.. في وقت كانت تظن فيه انها شاهدت لمعان المشاعر في عينيه.. ولامته على هذا.. لامته لأنه لا زال له هذا التأثير الجاذب على مشاعرها.. لامته لأنه لا زال قادراً على جعلها تحس بالتعاطف معه.. ان تريد.. تريد ماذا؟ أن تحميه؟ أن تجنبه الالم.

ما هذه الأفكار السخيفة؟ تريد أن تجنبه الالم! اغمضت عينيها في يأس اخرس.. ما الذي دهاها؟ لماذا لا تستطيع ان تحس ما تحسه اية امرأة عادية عاقلة، لها عقل.. لو كانت في مكانها؟ لماذا لا تستطيع كراهيته والاشمئزاز منه؟ اذا لم يكن لأجلها.. فلأجل ابنتها..؟

بعد اتمام كل ترتيباتها، وبعد أن لم يعد هناك سبب يدعوها ان تؤخر سفرها الى أوكسفورد أقنعت نفسها بأنها تعتمد البحث عن اسباب لتأخير لحظة جلوسها مع لايي واخبارها بما عرفته..

والاسوأ، انها حين دفعت نفسها في النهاية الى صعود سيارتها، وادارة المحرك.. كان هناك في اعماقها معرفة مدفونة بانها كان يمكن لها ان تتخلى عن اي شيء، يكون الى جانبها احد خلال مقابلتها مع ابنتها.. شخص يمكنها اللجوء اليه.. شخص يمكنه دعمها، ليس لها فقط بل لايي كذلك.. لا.. ليس مجرد شخص ما.. اعترفت بهذا بشوق دائم وهي تنطلق في الطريق الداخلية للمنزل.. هناك شخص واحد تريده أن يكون الى جانبها الآن.. شخص واحد يمكنه ان يصغي لألمها، لأجلها ولأجل

لايي معاً.. توماس.. انها تريد توماس.. حبيبها.. ووالد لايي..

لقد عرض عليها أن يكون معها، لكنها رفضته ورفضت عرضه، تحس بالكبرياء أن تعترف أنها قد تحتاج الى دعمه..

فخورة جداً! أم انها خائفة أن تعترف إنها قد تريد او تحتاج الى اي شيء منه. وانها قد تكون في خط تكرار نفس الاخطاء التي ارتكبتها في الماضي.. اخطاء ماذا؟ خطأ أن احبته؟

كشرت متألمة، تؤنب نفسها.. فهل توقفت يوماً عن حبه؟ لقد بدأت تشك في هذا..

www.elromancia.com

ـ ٥ ـ

الغيرة

وصلت كولبيت بعد الغداء.. وحجزت لنفسها غرفة في الفندق.. موظف الاستقبال تعرف عليها فوراً، من زيارات قصيرة سابقة، ورحب بها بحرارة.

غرفتها في الفندق الفيكتوري الطراز، كانت تطل على الحدائق، حيث الازهار التقليدية كانت في اوج عطائها.. دخلت الحمام لتصب الماء البارد على يديها ووجهها لعلها تؤدي الي ارجاع جهازها العصبي الى استقراره الطبيعي، لكن هذا لم يؤدي سوى الى ارتجافها.

المنزل المحاط بالشرفات، الذي تشاركه لايبي مع خمس طلبة آخرين، كان صغير، لكنه، وكما أشارت لايبي وهي تشرح لأمها سبب مشاركة خمسة طلاب في شراءه بدلا من استئجاره، يكون له مردود جيد في استثمار اموالهم، حين يقررون بعد انتهاء ايام الجامعة، إما بيعه او تأجيره.

احد الطلبة ممن يشاركون المنزل، فتح الباب لكولبيت، وقال لها أن لايبي ليس لديها محاضرات بعد الظهر لكنها ذكرت انها ستمضي وقتها

في مكتبة الجامعة. ثم اضاف:

ـ اترغبين في انتظارها؟

ـ لا..لا.. ساعود فيما بعد.

قطب قليلاً وهو يراقبها تبتعد، متساءلا ماذا في الامر؟ كان قد قابلها مرة واحدة من قبل، وادهشه صباها الظاهر.. فيما بعد، حين تحدثت لايبي عن مولدها وتربيتها، امتلأ اعجابا بلايبي وامها لما انجزتاه. وتساءلت عن اذا كان يجب عليه ان يصرّ على بقائها، وعرض فنجان شاي عليها، فكما لاحظ، كانت تبدو شاحبة جداً.

قادت سيارتها باتجاه الريف، ثم اوقفتها. لتنزل منها، وتسير في احدى ممرات البلدة القديمة.

كان مكانا صامتاً سرّيا، مكان حيث الطبيعة دائماً متواجدة لتعزيز المعرفة بانها هي القوة الحقيقة التي تحكم البشر.. تلك الطبيعة المسؤولة عن الاخبار التي يجب أن توصلها الى ابنتها.

كيف احس توماس اول ما علم بالحقيقة؟ كيف احست امه حين علمت؟

امه، كما قال لها مرة، لم تكن تسمح له بذلك القرب منها، والذي كان احياناً يتوق اليه، وتبعا لهذا كانت علاقته بها بعيدة عن السهولة.. كانت امرأة منعزلة، ولطالما تساءل أن سبب عزلتها ربما عائد للطلاق بينها وبين والده.

www.elromancia.com

والده، هجر زوجته وابنه، وتوماس لا زال صغيراً. وهاجر الى اوستراليا، حيث اختفت اخباره.

باحساس امرأة تحب، استطاعت كولييت ان تفهم كم جرح هجرانه توماس، لكنها اقترحت عليه يومها، لو انه يتخلى عن اشباح الماضي ويحاول أقتفاء اثر ابيه.

ولم تعرف ابداً ما اذا كان توماس قد اتبع حثها اللطيف باللحاق بابيه.. فبعد عدة اسابيع من نقاشهما هذا، قال لها توماس أن زواجهما انتهى امره، وانه وجد لنفسه امرأة اخرى.

من علٍ بُعد، هب عصفور من على شجرة، يصفر ويدور فوق الرؤوس، صراخه الرفيع الحاد اخذ يوتر سيطرتها على نفسها.. لم تشعر يوماً في حياتها انها وحيدة هكذا.. ولا حتى يوم اكتشفت أن توماس لم يعد يريدها.

وليس هناك طريقة سهلة، لاتمام المهمة التي تنتظرها.

نظرت الى ساعتها، لتجد أن الوقت حان للعود.

فتحت لايبي الباب قبل أن تخرج كولييت من سيارتها، وخرجت تركض نحوها مقطبة قليلاً وهي تسأل.

- ما الذي حدث امي؟ ما الخطب؟

توقفت فجأة على الرصيف حين لاحظت الاجهاد على وجه ابنتها

واحست كولييت بقلبها ينقلب رأساً على عقب في داخلها، بعد أن امسكت لايبي ذراعها وقالت بهدوء:

- انه هو.. اليس كذلك؟ ابي.. هل حدث شيء؟ هل هو..؟

- لا..لا.. توماس بخير.. اظن من الافضل أن نذهب الى فندقي.. هناك شيء يجب أن اقوله لك.. وأظن..

- تعالي اذن.. ومن الافضل أن اقود السيارة بنفسي، ما أن اصبحنا في غرفة كولييت، حتى وقفت لايبي تسأل بصوت اجش.

- ما الامر امي؟ اعرف انه لا بد امر خطير.. فأنا لم اشاهدك هكذا من قبل ابداً.. تبدين مثل.. اذا لم يكن الامر حول.. ابي.. إذن..

- فلنجلس لايبي..

خاضت بالامر باسرع وقت ممكن.. وبكل موضوعية، تخبر ابنتها كل شيء قاله توماس لها، لكنها تجاهلة اقتراحه بان تعقم نفسها.. تقول بثبات، مع علمها بأن الامر صدمة، فعلى لايبي أن تتذكر كم تقدم الطب، وأن عليها ان لا تشعر حتى ولو كانت تحمل جرثومة المرض، أن هذا لا يعني انها لا يجب ان تنجب اطفالا.. واجابت لايبي ببرود:

- لا.. لكني لا استطيع انجاب الذكور. للحظات بقي كلاهما صامتين. ثم قالت لايبي:

- الذي لا افهمه لماذا لم يقل لك هذا من قبل..

www.elromancia.com

- لم يكن يعرف، كما هو واضح.

- وكيف عرف.. عني.. اعني؟ كيف..؟

وشرحت لها امها ما جرى.

- تعني.. انه كان هو.. الرجل في المطعم..؟ كان الرجل الذي اشرت اليه لك؟

- الرجل الوسيم.. اجل.. عرفته فوراً.. لكنني لم اظن انه شاهدنا او عرفنا.

- ولم تقولي شيئاً.. ولما قلت شيئاً لولا أن حصل هذا.!

- آسفة حبيبتي.. كنت مصدومة.. وانا..

اكملت لايبي عنها بصوت اكثر رقة:

- اردت حمايتي من أن يرفضني كما رفضك.. أعرف أنك لم تفعلي هذا بدافع الحقد امي.. فانت شفوقة واكثر رقة وعطفاً من أن تفعلي شيئ كهذا.

قالت بلهفة:

- لا بأس عليك امي.. انا لا احاول تجنب الامر، او التظاهر انه لم يحدث.. انها صدمة، ولكن من الافضل بكثير أن اعرف الآن. لكنني بحاجة الى بعض الوقت، لأتفهم الوضع، هذا كل شيء.. لا تقلقي من أن اتظاهر أن شيئاً من هذا لم يحدث.. أن ادفعه الى مؤخرة دماغي

وادفنه هناك.. الامر فقط.. فقط.. اكملت لها امها:

- صدمة كبيرة.. اعرف هذا حبيبتي.

- وهو.. ابي.. قال لك هذا.. وانتهى الامر..؟ الم يذكر...؟

ردت بصدق:

- عرض ان يبلغك.. انه.. اظنه كان مدمراً بالكامل حين اكتشف انك ابنته.. قال لي انه اجرى عملية تعقيم.. وقال ايضاً انه حين تزوجني لم يكن يعرف.. ولم يدرك..

- وهل صدقته؟

هزت كولييت كتفيها:

- اظن انني كنت مصدومة جداً لاستوعب كل شيء.. حين طلب ان يعرف ما اذا كنت ابنته اول ما فكرت به كان..

قاطعتها لايبي مراعية باندفاع طبيعي:

- ماذا.. أن يسرقني منك مثل الغجر؟ اظن انني ضخمة بما يكفي لأن اسرق كالاطفال اي! هل هو متزوج؟ الديه اولاد؟

قطبت كولييت.. فضول لايبي حول توماس في وقت هو امر طبيعي كان يربكها.

- لا.. لكلا السؤالين.. وأستطعت أن آخذ فرصة يومين لأبقي هنا.. ولم اكن اعرف اذا كنت تفضلين اجراء الفحوصات في مكان آخر..

www.elromancia.com

ومارتن يمكن بالطبع أن يجريها لك.. لكن.. ربما..

- لن اخفي الامر امي. لا عن نفسي ولا عن اي كان على اي حال، هذا حقل اختصاص مارتن، وسأكون حمقاء أن لا الجاء الى خبير ماهر.. بامكانك ترتيب الامور لوقت مجيئي لعطلة منتصف السنة.. أبي.. اين.. هل هو في البلدة؟

بدأت كولبيت ترتجف:

- لست ادري.

قطبت لايبي تركز نظرها عليها:

- اسفة امي.. اعرف ان هذا سبب لك الصدمة كما سببه لي.

لو انك فقط تعلمي.. لو انني قادرة على تحمل جزء من العبء يا طفلتي العزيزة.. واحست بالذنب.. بالمسؤولية، بالعجز.. كما احست بالسخط للطريقة التي بقيت لايبي تسأل عن ابيها.

- لا حاجة لأن تبقي هنا امي.. اعرف ما انت، واعرف انك تريدين حمايتي.. وأن تصححي كل الامور لي.. لكن الا ترين أن هذا امر يجب أن أفعله بنفسي.. أن استوعبه لوحدي.. لا استطيع استخدامك كعلاّقة لحل مشاكلي النفسية لما تبقى من عمري.. هذه مشكلتي.. وليست مشكلتك.

اجفلت كولبيت، وقالت محتجة:

- لايبي.. انا امك..

- اعرف.. اعرف.. لكن ارجوك دعيني اتعامل مع هذه المشكلة بنفسي.. امي، واعدك أن لا افعل شيئاً سخيفاً.. صحيح انها صدمة لكنها في الوقت الحاضر ليست اكثر شيء مهم في حياتي.. الآن. الزواج وانجاب الاولاد هو آخر شيء يحتل تفكيري.. لا تظني انني احاول تجنب المواجهة.. سأجري الفحوصات.

ضمت امها بعنف، ثم قالت بصوت مرتجف:

- اسفة امي، انا اجرحك.. اعرف، ولا اريد هذا.. لكنني لم اعد طفلة صغيرة.. وارجوك.. ليكن لك قليل من الثقة بي.. بالقيم التي علمتني اياها.. حاولي تركي اواجه هذا لوحدي.

سألتها كولبيت تحاول ان تكون مرحة:

- وهل علي العودة الآن أم في الصباح الباكر يكفي..؟

لكنها كانت تعلم أن بؤسها يبدو في صوتها واجفلت لايبي:

- ارجوك امي..

واحست كولبيت بالخجل من نفسها:

- اسفة حبيبتي..

وعانقتها بحرارة تكمل:

- انت محقة.. انا ابالغ في حمايتي لك.. حسن جداً.. ساعود الى

البيت.. لكن عديني، ان لو احتجتني لأي شيء، أن تتصلي بي.

- ساتصل صباح السبت، لتعرفي انني لم افعل شيئاً سخيفاً.. اسمعي، الليلة دور إدي في الطبخ، وأظنه معجب بك.. وقال لي انك كنت تبدين حزينة ونحيلة. وكأنما هذه غلطتي.. فتعالي معي الى المنزل امي.

كادت كولييت ترفض.. لكنها بحكمة تجاهلت مشاعرها وقبلت.

- حسن جداً.. اذا كنت واثقة أن هناك ما يكفي من طعام لفم جائع ضافي.

- انا واثقة.

- وماذا سيطهو إدي للعشاء؟

- شيء ما بالمعكرونة.

- همم..

في النهاية، كانت الامسية افضل بكثير مما توقعت كولييت، حتى انها اكتشفت نفسها تضحك وهي تنضم الى الحديث حول المائدة.. تنسى لدقائق ما الذي جاء بها الى أكسفورد، ثم تعود وتذكر نفسها انها ولأجل لايي، يجب أن لا تستسلم لمشاعرها.

لما بقي من الاسبوع، بقيت كولييت متوترة، لا تبتعد عن مرمى سماع رنين الهاتف، غير قادرة على الارتياح، او حتى تناول الطعام، او النوم بشكل ملائم.

بحلول صباح السبت، كانت مستعدة للاعتراف انه كان افضل لها لو نت عطلتها وعادت الى العمل.. على الاقل، كانت ستضطر الى اجبار سها على التركيز على عملها.. اخيرا لم تعد تستطيع الانتظار، وطلبت قم هاتف منزل لايي.. ورد عليها إدي:

- اسف.. لم يعودا بعد.

- يعودا؟

- اجل.. والدها اخذها هذا الصباح.

والدها.. توماس:

فيما بعد ادركت انها اقفلت الخط دون كلمة وداع او تفسير لأدي.. فقط كانت مصدومة، غير مصدقة لما قاله لها.

لايي ابنتها.. طفلتها هي.. وتوماس ليس له دور في حياتها!

كانت مضطرة الى الجلوس قبل أن تتهاوى ساقاها تحتها. احست بضعف رهيب.. جسدها حست، وكأنه وعاء فارغ، يهدد بخذلانها بكل ضعفه.

من فمها احساس بالمرارة.. بماذا تفكر وماذا تفعل؟ كرهت نفسها للافكار التي تدور في رأسها.. وللهوة التي بدت وقد انفتحت تحت قدميها.

كيف يمكن لها ان تحس هكذا، هي التي طالما شجعت لايي على

www.elromancia.com

مصادقة من تريد، أن يكون لها حياتها الخاصة بها، من رفضت ربط ابنتها بها بأي نوع من الابتزاز العاطفي.. من فرحت دائماً باستقلالية ابنتها وحيويتها؟

مع كل هذا.. ها هي، مريضة بأسوأ انواع الغيرة.. سقيمة بالشك والمرارة.. وكل هذا لأن لايبي خرجت مع توماس.

توماس.. واحست بألم التواء سكين في مكان ما في اعماقها.. واحساس بحزن كبير.. اعتراف بأنها مهما تألمت، فالاب وابنته سيكونا منطويان حول بعضهما.. ويريدان اللقاء.. والحديث.

طوال فترة نموها، كانت لايبي مصرة على انها لا تريد شيئاً من والدها، فهل كانت تكذب.. تكذب لتحمي امها..؟

حاولت كولييت ان تضع نفسها مكان ابنتها، واضطرت للاعتراف انها لو ظهر ابوها دون سابق انذار، فهي بدورها لن تتمكن من مقاومة اغراء في الخروج معه والتحدث اليه.

اذن.. الغلطة، اللوم، لا يقعان على لايبي.. بل على توماس.

لقد قال لها انه لا يرغب أن يقف بينها وبين ابنتهما.. فمتى غيّر رأيه؟ ام انه ببساطة كذب عليها؟ وهي.. الحمقاء الغبية كما هي.. ولطالما كانت.. صدقته.

ورن جرس الهاتف. فانتزعت السماعة بيد ترتجف، لكن المتكلم كان مارتن، يتصل ليقول انه رتب المواعيد للايبي لاجراء الفحوصات اللازمة

خلال عطلة نصف السنة. وقال بلطف:

قد لا تكون ورثت الجرثومة المرضية.. لكن طبعاً من الأفضل التأكد.

كانت بالطبع مضطرة لشرح الموقف كله له.. في السابق لم يكن يعرف شيئاً عن ماضيها، اكثر من واقع انها مطلقة.. واكمل مارتن:

- كنت اتساءل ما اذا كنت حرة هذا المساء.. هناك مطعم جديد، فتح لتوه..

- آسفة مارتن انتظر مكالمة من لايبي هذا المساء..

- حسن جدا.. ربما في وقت آخر.

وهي تعيد السماعة، قالت كولييت لنفسها مع احساس بالذنب، انها ليست منصفة معه، ربما مع نفسها كذلك.. فلماذا لا يمكنها الاحساس بشيء نحوه اكثر من الاعجاب والصداقة؟ انها تكذب على نفسها، وتعرف هذا.. وما كان عليها سوى ان ترى توماس لتعود كل مشاعرها نحوه تعمل.. وكل شوقها الجسدي له.

وهي تنتظر مخابره لايبي، وعدت نفسها أن لا تقول لها أي شيء عن توماس.. وأن لا تتصرف بدافع الغيرة والمرارة.. ويجب أن تحاول فهم الامور من وجهة نظر لايبي.. وأن تذكر نفسها انه والدها.. وأن الاكتشاف هذا..

في الثامنة تماماً، رن جرس الهاتف.. وهذه المرة، كان المتكلم لايبي.

www.elromancia.com

- اسفة لأني لم اتصل باكراً امي.

صوتها كان مختلفاً.. حذر تقريباً.. ام أن كولبيت تبحث عن اشياء لا وجود لها؟

- كنت في الخارج..

وصمتت، كأنما تلتفت بعيدا عن الهاتف، ثم:

ـ انا.. كنت مع.. توماس.. مع أبي.

كيف يمكن لها ان لا يكون لها ثقة بابنتها؟ لماذا تتصرف بمثل هذا الارتياب. و.. والغيرة؟

- اجل.. اجل.. قال لي أدي انك خرجت معه.. ويجب أن أقول انني تعجبت من اتصاله بك.. خاصة بعد ان اتفقنا معاً على أن من الافضل أن اخبرك انا بنفسي.

ساد صمت قصير، ثم قالت لايبي بهدوء:

- لم يتصل بي امي.. انا اتصلت به.. اتصلت بسكرتيرة تشارلز وحصلت على عنوانه منها.. ثم اتصلت به.. اسفة.. اعرف كيف تشعرين.. اردت اخبارك.. بحث الامر معك.. لكن..

اخذت كولبيت نفساً عميقاً، وقالت. بهدوء قدر استطاعتها.

- انه والدك لايبي.. افهم هذا.. كم لا بد كنت متشوقة لمعرفته.. لو كنت مكانك، فأنا واثقة انني كنت سافعل الشيء عينه.. وانتما.. انتما في

النهاية تتشاركان رباط واحد.. حسن جداً.. افهم انك كنت تفضلين الحديث مع..مع والدك حول الامور.. اكثر مني، على اي حال، لديه معرفة شخصية بالموقف انا لا..

- امي.. ارجوك، لا تجعليني احس باسوأ مما احس به.. الامر لم يكن هكذا، وبالنسبة لرباطي معه.. فانت امي اما توماس، فلا استطيع مناداته «ابي» حتى انني لا استطيع التفكير به على هذا الاساس.. ليس بعد.. انا لا اعرف لماذا احسست بحاجة لأن اتصل به، او ما الذي كنت ابحث عنه ..وتلعثمت: فخلع قلب كولبيت لها، لهما معاً.. ارجوك يا ربي لا تجعله يؤلمها، لا تجعله يتركها تؤمن انه... يهتم لها، ثم يرفضها.

اكملت لايبي بصوت مرتجف:

- انه رجل وحيد جداً امي.. المرأة التي تركك لأجلها، لا اظنه بقي معها طويلاً.. فهو لم يذكرها ابداً.. ولا يتحدث عنها.. وهو لم يتوقف عن الحديث عنك.. حول..

وكانت مضطرة للمقاطعة:

- لايبي.. لا بأس عليك.. افهمك.. انه والدك، وما اردتك يوماً أن تعرفيه.. انه على اي حال، جزء منك.. لكن يجب ان لا.. لا حاجة لأن تبرري تصرفاته معي.. فعلاقتنا، انتهت منذ زمن بعيد.. اما علاقتك به فقد ابتدأت لتوها.

www.elromancia.com

تحادثا لنصف ساعة اخرى.. حتى اعادت كوليبيت السماعة، كانت تحس بحمل ثقيل من التعاسة، تشوبه في الوقت نفسه معرفة بانها فعلت الصواب في ابعاد اي احساس بالذنب عن نفس لابيي، فيما يخص والدها.

ربما يكون هذا أكبر هدية تقدمها لابنتها.. كما اعترفت فيما بعد على عشاء منفرد.. حرية الاستكشاف بانفتاح، وبدء علاقات خاصة مع والدها دون اي مرارة او معارضة من امها، اجل لقد فعلت الصواب.. لكن بأي ثمن؟

انها العاشرة الآن.. وربما من الافضل أن تنام باكراً.. تنبوءات الطقس كانت جيدة وستمضي يوم غد تعمل في الحديقة.. المقعد الخشبي بحاجة الى دهان للحفاظ عليه.. وعليها اقلاع الاعشاب الضارة، والشتول يجب تنظيفها.. الكثير من العمل ليشغلها.. لكن لا شيء ليشغل تفكيرها.. لا شيء يمنعها عن التوقف في التفكير كم احست بالتهديد، بالعزلة، بالانقطاع، حين قال لها أدي ان ابنتها خرجت مع ابيها.. لقد اختبرت الغيرة من قبل.. الغيرة العميقة المعذبة مدى معرفتها أن زوجها، حبيبها، يفضل عنها امرأة اخرى.. لكنها لم تتوقع يوماً ان تشعر بالغيرة من ابنتها.. وأن تخشى بكل مرارة..أن..

أن.. ماذا؟ أن يرغب توماس في قضاء يوم معها؟

امتلأت عيناها بظلال المرارة وهي تغتسل.. ثم صعدت الى غرفتها.

ـ ٦ ـ

هل انت متبجح؟

كانت كوليبت على وشك العودة الى الحديقة لأكمال ما بدأت به في الصباح الباكر من دهان حين رن جرس الباب الامامي..

انها لابيي.. ربما تكون لابيي.. ثم ادركت ان ابنتها من غير المحتمل أن ترن جرس الباب الامامي ولديها مفتاحها.. كشرت قليلاً على حالتها المشعثه الملطخة بالدهان، وفتحت الباب الموصل الى الردهة من المطبخ، وسارعت الى الباب الامامي.

وهي تفتحه بهرتها الشمس، ولم تستطع برهة أن تعرف أنعكاس صورة الرجل، تقاطيعه، مخفية مظلمة.. ثم تكلم يتقدم الى الامام ويقول بهدوء:

ـ ارجو أن لا أكون اخذت وقتا غير مناسب لزيارتك.. لكن..

توماس.. انه توماس.. ماذا يفعل هنا بحق السماء؟ فجأة، ظنت انها تعرف، صدمتها الاولية افسحت المكان لغضب شديد وهي تقاطعه بمرارة:

ـ لكنك لم تستطع الانتظار لتأتي وتتبجح.. اليس كذلك؟ حسنا..

www.elromancia.com

انت متأخر جداً.. لقد حدثت لايبي.. لماذا تفعل هذا توماس؟ انت لم تردها.. لم ترغب في اي اولاد.. قلت هذا بنفسك حين قلت انك تأكدت بنفسك ان لا تنجب.. قد تكون لايبي علمياً ابنتك، لكن عاطفياً، اخلاقياً، انها لي، واذا ظننت انني ساقف متفرجة وادعك تؤلمها..

- أؤلمها؟

احست بالغضب في صوته.. مما اسكتها مصدومة بغضبها.. ونظرت اليه.. بدا لها متعباً، منهكاً.. مريضاً تقريباً.. وهو يتحرك تذكرت العملية الجراحية التي خضع لها مؤخراً. ولم تستطع حتى في حدة غضبها أن لا تحس بقلق ضعيف نحوه طغى على صدمتها لرؤيته والغضب المشتعل داخلها.

وكرر بخشونة:

- اؤلمها. اتظنين حقاً انني قد افعل هذا؟

لسبب امتلأت عيناها بالدموع.. وسألت بمرارة:

- ولمَ لا.. فانت لم تمانع في ايلامي.

ابيضّ وجهها شحوباً.. ثم احمرت بشدة.. ما الذي دهاها بحق السماء لتقول هذا؟ وحبست انفاسها.. تنتظر ان يرد عليها ويعذبها بما كشفته.. لكنه اجفل وكأنه تلقى ضربة جسدية.. وقال بصوت منخفض اجش يدافع عن نفسه:

- لم يكن لدي خيار آخر.. انا..

- كنت في حب امرأة اخرى.. اجل.. اذكر هذا.. لماذا ذهبت لرؤية لايبي توماس؟ حين جئت لرؤيتي قلت انك فقط قلق على ان تعلم عن.. تاريخك الطبي.

صمت طويلاً، حتى انها اضطرت للانتظار والنظر اليه.. لتجده ينظر اليها بتعبير حزين على وجهه. عيناه المألوفتان، متألمتان، وسوداوان بالتعاطف والاشفاق.

دفعتها كرامتها الى التخلي عن رأسها وأن وتصر على اسنانها، وتقول مرتجفة:

- حسن جداً.. لايبي هي التي اتصلت بك. ماذا كنت تتوقع؟ بالطبع ستكون فضولية للتعرف عليك.. بالطبع تريد أن تعرف..

وتلاشى صوتها حتى اضطرت الى الصمت.. ولم تستطع النظر اليه، لم تتحمل ان يرى ضعفها، لكنها مضطرة على متابعة الحديث، لتثبت له انها لا تنظر الى تصرف لايبي كنوع من الخيانة لها..

- انت.. من بين كل الناس يجب أن تعرف.. على اي حال انت كنت ترغب في أن تجد اباك.. أن تعرف المزيد عنه.. ولا يمكنك لوم لايبي.

- لا الومها كوليت.. لا الومها لأي شيء.. لا.. لا الومها.

www.elromancia.com

الطريقة التي ركز بها على ابراز كلماته الاخيرة.. والتعاسة العميقة في صوته اجفلتها..

- ماذا تحاول ان تقول؟ انك تلومني انا.. انني ما كان يجب ان الدها؟ حسناً الامر يلزمه اثنين.. هذا في حال إنك تركت هذا الواقع الصغير يغيب عن بالك..!

- كولبيت.. ارجوك. لم اجيء الى هنا لأتشاجر معك.. اسمعي ايمكننا الدخول والجلوس لنتناقش بهذا بعقلانية اكثر؟

- كما فعلنا يوم قلت لي انك تريد الطلاق. انت جيد جدا في مسألة العقلانية هذه.. الست هكذا توماس؟ بارع جداً في ضبضبة كل شيء في علب صغيرة مرتبة، بعيدا عن الانظار، حين لا تعود بحاجة اليها..

- ماذا كان يفترض أن افعل كولبيت؟ لقد اتصلت بي، فهل ارفضها؟

صوته هادىء منخفض، لكنه يحمل الكثير من الالم. وذلك الالم اسكتها.. لم تعد صغيرة.. تندفع بطيش الى مواجهة عاطفية.. انها الآن امرأة ناضجة، وتستطيع أن ترى أن ما من مشكلة يمكن أن تحل بطريقة واضحة تماماً، وان تنقسم بنظافة الى صح.. أو غلط.. وقال توماس.

- ولم اعرف أن لايي اتصلت بك.. فجئت كي..

- كي تقول لي ما حدث.. كي تتبجح امامي..

قاطعها على الفور:

- هذا غير منصف وغير صحيح.. متى قمت يوماً..

ابتسمت ساخرة تقاطعه بدورها:

- على ايلامي؟ هل انا مضطرة فعلاً على الرد؟

- كولبيت ارجوك.. اردت فقط أن أتكلم معك.. أن ارى إذا كان من الممكن ان نجد وسيلة..

- وسيلة لماذا؟ لمشاركة لايي؟ اصبحت كبيرة على هذا الآن توماس لا استطيع منعها عن رؤيتك.. حتى ولو استطعت.. اتظن اني لم اعرف كيف كانت تشعر؟ ماذا لا بد يعني هذا لها؟ كم سيضر هذا بنفسيتها لو أن احد منا.. اي منا حاول تحميلها عقدة ذنب على ما تفعله ولقد تربيت يتيمة.. اتذكر.. واعرف معنى هذا الشعور.. لست احتاجك لتشرح لي دوافعها للبحث عنك.. لقد عرفتها طوال حياتها.. لكن ما احتاجه هو أن اعرف لماذا تشجعها؟

- انها ابنتي.

- وكانت ابنتك منذ تسعة عشر سنة.

كان هذا ظلم منها، وتعرفه، وراقبته يجفل متألماً، ويرتفع الدم تحت بشرته.. واكملت:

- قلت لي انك تعتقد ان عليها التفكير بالتعقيم، نظرا اليها مصدوماً:

- وتظني أن هذا سبب..

- تشجيعك لها.. سماحك لها بان تصدق انك تريد حقاً تطوير علاقة معها.. واظن هذا جزء من خطتك.. اجل.

ساد صمت طويل، وألمتها نظرة عينيه واربكت تفكيرها.. وقال بهدوء:

— واذا اعطيتك وعد شرف انني كل ما اريده منها هو مجرد فرصة لأن اعرفها.. أن اسمح لها ان تعرفني؟ انها ابنتي كوليت، كما كنت تقولين لي بكل خشونة وحق.. انها شابة رائعة.. اتظنني انها ستسمح لأي شيء اقوله في مرضوع هام كهذا ان يغير حكمها عليه؟ خاصة وأن عليها ان تنظر اليك، انت امها، لترى مدى الفرح والسعادة الذي يمكن لطفل ان يسببه؟.. الا تثقي بالطريقة التي ربيتها بها؟

كان هو الآن ظالم غير منصف، ويعرف هذا.. وهزت رأسها يائسة:

- في العادة لا.. انها مستقلة الرأي.. لكن عضت على شفتها. ثم تخلت عن حذرها تماماً.. تخلت عن كرستها، وتقدمت اليه، تتوسل:

- الا ترى توماس؟ انت الآن جديد جداً لها.. ومميز جداً.. الامر مثل.. مثل افتتان المراهقة.. مثل اول علاقة حب حقيقية.. آرائك، وجهات نظرك، مشاعرك، ستكون قيمة جدالها. ارجوك.. ارجوك، لا تحاول اقناعها بأن تفعل شيئاً ستضطر الى العيش معه طوال حياتها.. لقد قمت بقرارك لنفسك.. ارجوك، دع للابيي الحق في ان تتخذ قرارها بنفسها.

- كما تفعلين انت؟

عضت شفتها بقوة، واخفضت رأسها:

- اذا اتخذت قراراً أن لا تنجب اولاد خوفاً من العواقب.. لن احاول اقناعها بتغيير رأيها.. ليس وانا مقتنعة ان هذا ما تريده فعلاً.. في هذا الوقت، اظنها صغيرة جداً.. مع كل نضوجها، لتقوم بمثل هذا القرار.

ساد صمت آخر، ثم قال توماس ببطء:

- واذا موافق معك.

حين استدار ينظر اليها، كان في عينيه نظرة مرارة وخوف.. وتساءلت بألم ما الذي وضعها هناك.. واحست بالدموع تتجمع في مآقيها.. وقاومتها كي لا تنسكب.

بدا توماس متعباً، مرهقاً، كما تحس هي تماماً.. بدا انه يريد أن يجلس في مكان ما يغمض عينيه ويترك اي شيء يمكن أن يكون ملقياً ثقله عليه، أن يتلاشى عنه ليتحرر من عبئه.

نظرت الى ملابسها الملطخة، ثم اليه وقالت:

- حسن جداً.. لقد اوضحت وجهة نظرك توماس.. ويجب بالفعل أن اتابع عملي، فأنا مشغولة كما ترى.

- الديك صديق قادم الىّ هنا فيما بعد؟

حدقت به وسألت بحدة:

- اي صديق؟

www.elromancia.com

- يبدو ان لابي تظن مارتن ستيلمان له ميل لك..

احمر وجهها غضباً وشدت قبضتيها:

مارتن صديق عزيز وطيب جداً.. واذا امرأة ناضجة تعتبر نفسها قد تخطت سن أن يكون لها صديق كما تعني.. لكن حتى ولو كان لي لا اظن ان هذا من شأنك.. ولا زلت لا اعرف حقاً سبب مجيئك اليوم توماس.. لكنني افضل ان ترحل الآن.. وقبل ان تغضبني حقاً.

كانت فخورة بخطابها الصغير، لكن توماس لم يتأثر به:

- ما جئت لأجله هو لأطلب منك أن لا تغضبي من لابي لاتصالها بي.. اعرف كيف تشعرين.. وكم لا تريدين اي اتصال بيننا.. لكنني اعرف كذلك كم تحبينها، وكم تريدين انفارها..

لم تصدق ما تسمع:

- اتظنني حمقاء لهذه الدرجة.. او انانية؟ لا.. واذا اردت الحقيقة.. لا اريدك ابداً في حياة لابي.. لكن هذا شعور شخصي.. اتظنني حقاً لا استطيع أن أفكر كما لو كنت مكانها، وانني لا استطيع فهم مشاعرها؟ أتظنني انانية هكذا متملكة الى هذا الحد..؟

ابتاعت ريقها بصعوبة واكملت:

- اما بالنسبة لغضبي منها.. انا لست غاضبة توماس.

- وهذا يعني انني انا من اتلقى ذلك الغضب ثانية.

- اسمع.. طلبت منك لتوي ان ترحل.. ولا ارى هدفاً في متابعتنا لهذا النقاش.. تعرف اين هو الباب.. فانا لن اوصلك اليه لتخرج..

واتجهت نحو السلم. وهي تبتعد.. احست بالدموع تحرق عينيها.

- كولييت.. ارجوك.. انا..

احست بالتوتر وهو يتقدم خلفها، ويمسك ذراعها.. كل التوتر والمشاعر لوجوده كان يغلي ويتصاعد في داخلها، ليحطم الموانع التي وضعتها بسيطرتها على نفسها، وحاولت ان تجذب ذراعها منه، تصيح مذعورة:

- اتركني.. لا تلمسني!

وهي تشد نفسها بقوة، تركها فترنحت ومدت يدها دون وعي لتتقذ نفسها من الوقوع فاصطدم عظم وركها بالخزانة الموضوعة أمام الجدار لكن، قبل ان تقع سحبت فجأة لتقف على قدميها. وصوت توماس الاجش الغاضب في اذنيها:

- ايتها الحمقاء الصغيرة.! ماذا دهاك؟ لن اؤذيك.. اردت فقط أن..

كان قلبها يخفق بعنف، بخوف، بذعر، جسدها يؤلمها، بشوق.. وحاولت نفض ما تشعر به عنها. وتركز على شيء غير وجهه. تحتاج لأن تحمي نفسها وتخفي عنه، مشاعرها، والتوتر في قبضته، محاولة الهرب من حرارة جسده الرجولي.

- كولييت، لأجل الله.. ما بك؟ لا يمكنك حقاً الظن اني اريد ايلامك؟

www.elromancia.com

عرفت فوراً انه فهم ما شاهده في عينيها.. وحاولت مجدداً شد نفسها منه والاتاحة بوجهها.. وهو يلفظ اسمها تركت يده ذراعها، وامسكت وجهها تتلمس بلطف بشرتها، برقة كادت أن تظهر انه غير مصدق انه فعلا يتلمسها..

- لا.. لا توماس.. ارجوك لا.. لا اريد هذا..لكن كان كلاهما يعرف انها تكذب، وأن لا شيء تريده اكثر من أن تحس بحميمية على فمها.. وذراعيه حولها، وجسده.. حتى انها لم تكن تحاول ان تبتعد، بل وقفت بكل بساطة بين دائرة ذراعيه، ترتجف، وعيناه تفتشان وجهها.

كانت لا زالت تحاول العودة للاحتجاج بانها لا تريده حين ضمها اليه يعانقها.. ببطء في البداية، ووجهه مرفوع عنها كي يستطيع التطلع الى عينيها، الكبيرتين الضبابيتين بكل ما تشعر به.

رفعت يديها الى صدرها لتدفعه بعيداً.. تحت قميصه، احست ببشرته وكأنها من نار.. واحست بالضربات السريعة لقلبه.. وارتجف كل جسدها تجاوباً. كان يضمها بتذوق حرارتها، وفمه يداعب جبينها..

كم مرة بعد مرة، وخلال كل هذه السنين، حلمت به يعانقها هكذا.. لكن لتستيقظ وتجد نفسها وحدها؟ وهي تقاوم ما بحوزتها، حاولت أن تذكر نفسها بكل الاسباب التي تدعوها لايقافه.. لماذا يجب أن تحرم نفسها من الحميمة التي يشتاق اليها جسدها.. لكن، حتى وهي تجادل نفسها كانت شفتاها تتجهان بنعومة اليه، ثم تنفرجان.. طعمه المألوف

اجتاح احاسيسها، والآهة الصغيرة التي افلتت منها كانت لأخراس الاصوات المحذرة التي كانت ترتفع داخلها.. اليدان اللتان وضعتهما على صدره لتبعده، تسللتا بطريقة او اخرى الى كتفيه، اطراف أصابعها ترتجف وهي تلامس العظام المألوفة الفجوة بين عظامه بدت وكأنها مقفولة الآن.. تحت من فوق قميصها القطني احست بحرائه تحرق جسدها.

- توماس.

دون وعي منها همست باسمه.. وتعلقت به تحاول اشباع حاجتها منه، تدعوه، ترحب بتملكه، بكل رقة وشوق.

يداه جابتا جسدها، تشدانها اليها اكثر.. الحرارة، والرائحة المنبعثة من بشرته جعلتاها تحن الى مزيد من التلاصق معه، ان تتمكن من ملامسته :ون حاجز الملابس..

كحبيب، لطالما كان مهتماً مراعياً لمشاعرها وشغوفاً.. وتجاوبت معه الآن كما دائماً، غافلة عن الانذارات التي كان يطلقها دماغها.

همست ثانية بأسمه وفمها على صدره.. حاجتها تتغلب على كل تعقلها، ودفاعاتها تتهاوى، جسدها راغب وتواق، ضمها يرتجف وهي تداعب بشرته.. فجأة توتر.. وتركها:

- كوليت.. لا استطيع.

فجأة اصيبت بصدمة اعادتها الى واقعها، ووقعت ذراعيها الى جانبيها، واحمر وجهها بالصدمة والاذلال.. ماذا كانت تفعل بحق السماء؟

احست بالغثيان والأزدراء لنفسها، وتراجعت على الفور عنه تسعى الى حماية نفسها في اماكن معتمة في الردهة. لتخفي التأثير الجسدي الذي لا زال يتملكها.

وقالت بصوت متكسر!

- اذهب.. ارجوك اذهب.. اذهب توماس. الا ترى انني لن أستطيع تحمل المزيد؟

صعدت الى غرفتها دون ان تلتفت اليه.. ودخلت الحمام تقفل بابه عليها.. نظرت الى المرآة وقررت بقرف انها تبدو تماماً كما هي.. امرأة مثارة مهتاجة لدرجة أن كل من ينظر اليها يعرف هذا.

دخلت تحت مياه الدوش، ترحب بلذعاته القوية على بشرتها.. واخذت تفرك جسدها بقوة، متجاهلة الاحساس بالالم.

احست بالارهاق، متعبة عاطفياً ونفسياً، اكثر من ان تفكر بأي عمل، كل ما تريده هو ان تخبيء نفسها بعيداً عن العالم، تخبيء نفسها بعيداً عن نفسها، واعترفت بهذا مرتجفة وهي تدخل غرفة النوم.. يا اله السموات.. كيف يمكنها ان تواجه توماس بعد الآن؟

انتزعت المنشفة وتسللت الى السرير لتغفو على الفور.

حين استفاقت كانت الغرفة معتمة.. وادركت بحاسة الشم انها ليست لوحدها.

ادارت رأسها تنظر الى الطيف الواقف عند النافذة:

- توماس!

لم تستطع أن تصدق..

- كيف..؟ ماذا..؟

تقدم نحوها.

- كان عليّ ان اعود.. صعدت الى هنا ووجدتك نائمة.. هناك امر يجب ان نناقشه.. شيء يجب أن اقوله.. خاصة ويبدو لي اننا في المستقبل سيكون هناك اتصالات بيننا.. كوالدين للابيي.. ولن يكون هذا امر سهل لأي منا.. لكنه قد يساعد الى صفاء الجو.

هزت كوليت رأسها.. اتحلم؟ ام ان هذا حقيقي؟ ماذا يريد ان يقول لها وهو اضطراري هكذا؟ لماذا لم تكن اكثر حذراً.. اكثر حرصاً؟.. لماذا مررت نفسها بكل هذا؟

دون ان تدير رأسها له قالت:

- لا بأس توماس.. اعرف ما ستقول.. انت لم ترغب بي منذ عشرين سنة، وبكل تأكيد لا تريدني الآن. وانا اعتذر اذا كنت احرجتك ويجب أن تُرجع هذا الى انعكاسات هرموناتي الانثوية.. اعتذر أن جسدي، وبعد عشرين سنة من العزوبية، لا بد وأن يكون قرر التمرد.. ارجوك، لا تأخذ الامر بشكل شخصي.. واوكد لك..

www.elromancia.com

- ماذا تعنين بعشرين سنة من العزوبية؟ هل حقاً لم يوجد احد غيري؟

عضت شفتها بقوة.. لسبب ما.. شيء ما، من صوته جعلها تريد البكاء:

- وهل تصورت انه يجب أن يكون؟ وانني قد اسمح لأي كان بفرصة ايلامي كما فعلت انت؟

الصمت وتّرها اكثر، يدفعها الى الذعر ويطبق الى دماغها.

- بكل تأكيد ما كنت تتصور ان جسدي كان يمكن أن يتجاوب معك كما حصل لو انني. لو كان هناك.. لو..

- لو لم اكن حبيبه الاوحد؟

الكلمات الهادئة أخرستها.. وسمعته يتحرك، واخذت تدعو الله ان يذهب.. لكنها عرفت أنه كان يسير حول الفراش باتجاهها، ولا تستطيع ان ترمي الاغطية عنها وتهرب منه..

قالت بصوت اجش:

- لا اريد الكلام بالموضوع.. انا..

- لا.. ولا أظنني اريد الكلام فيه ايضاً.

اصبح الآن يقف قربها.. ينظر اليها من فوق بنفس التعبير الحزين المتجهم:

- كنت تبكين؟ الا زلت تريدينني.. كوليت؟ المفاجئة اذهلتها،

وحدقت به غير قادرة على اخفاء مشاعرها، وقالت كاذبة:

- لا.. لا.. لا أريدك.

- امر مؤسف.. لأنني اريدك.. اريدك اكثر مما اريد اي شيء، او اي انسان، في حياتي كلها.. عشرون سنة من العزوبية، زمن طويل طويل جداً.. اليس كذلك؟

لم تصدق ما تسمع.. لا بد انها مزحة.. نوع سمج من المزاح.. وسمعته يكمل:

- كان يوما طويلاً.. واسبوع اطول بكثير.. اما الآن فلا احتاج الى شيء اكثر من أن استلقي في سرير كبير، وارتاح لفترة.. وبما أن هذا سرير كبير، وبما ان ليس لك مشاعر جسدية نحوي، فأنا واثق انك لن تمانعي لو استلقيت الى جانبك لساعة او اكثر اليس كذلك؟

كان يخلع ثيابه وهو يتكلم، وتجاوبت احاسيسها بعجز منظر جسده. كان قد اصبح انسى، اقوى الآن مما كان في ثيابه، بطريقة ما اكثر رجولية.. اكثر.. اشتهاء.. أم أن نضوجها هو الذي يجعلها منقادة اكثر لرغباتها؟

علمت انها يجب ان تفعل شيئاً لتوقفه، أن تقول له ان هذا ليس ما تريده، ان تتحداه ان يشرح لها لماذا اذا كان يدعي الآن انه يريدها، هجرها بسهولة من قبل. لكن الوقت فات، وتقلصت عضلات معدتها، وهو يزيل عنه آخر ثيابه.. حاولت النظر بعيداً، لكنها لم تستطع.

www.elromancia.com

كان يرفع الغطاء عن السرير، يوقول لها وهو ينضم اليها.

- اريدك كوليت. اريدك باكثر من الكلمات لن يمكنني قولها لك.. لذلك دعيني ابرهن لك دعيني اظهر لك كل ما افتقدته طوال هذه السنين.

قبل عنقها كفيها، ويداه تلتفان حولها، حول خصرها، يضمها اليه بنعومة بحيث لم تستطع منع نفسها من التجاوب معه.

لكنها اليوم امرأة، لم تعد فتاتاً صغيرة.. امرأة حملت طفلة.. طفلته..

اخذت الصدمة ترفس جسدها وهو يتحرك يداه تداعبانها، وجهه يرتاح على شعرها، صوته اجش، وكأنه معذب.

- ابنتي.. لقد حملت ابنتي.. حتى الآن، وبعد معرفتي الحقيقة.. لا زلت اظن نفسي سأستيقظ لأكتشف.. اتعرفين ما يعني هذا لي؟ ان أكتشف بعد كل هذه السنين.. بعد إيماني انني لن.. كل هذه السنين ولا ازال لا اصدق..

- طوال الوقت، كان فمه يداعب شعرها، جبينها عينيها، وخدّيها، وكان كل تفكيرها منصب على الذكرى والسعادة التي كان يعطيها لها.

حاولت ايقافه، مدفوعة بدافع من الكرامة الشخصية، لكنه لم يترك لها فرصة، بل زاد من مداعباته حتى لم تعد تستطيع دفعه بعيداً.. واصبحت دون عقل تقريباً. تتحرك فقط لملاقاته وكأنما كانت طوال هذه السنوات تنظر، بجوع وشوق الى هذا الرجل الواحد الذي لم يعد هناك شك في

حاجتها اليه، وادركت انها لا تفعل كل هذا لأجله فقط بل لأجل نفسها ايضاً.. فهي تريد هذا التقارب الحميم معه. وهذه المعلومة صدمتها، جعلتها تخجل لأنها قادرة على السماح لنفسها بأن تنجرف بحبها له.

بدأت تشد نفسها بعيداً عنه.. معتقدة أن هذا ما يريده، لكنه على الفور أمسك بها.. يهمس باسمها مرات ومرات مرتجفاً.

كانت على وشك النوم بين ذراعيه حين تذكرت أن هناك شيئاً يجب أن تقوله له.. وجهة نظر مهمة يجب أن تقولها، نوع من نقطة دماغية يجب ان تسجلها عليه.. قاومت لتتذكر ما هي هذه النقطة، حين تذكرت فتحت عينيها، ونظرت اليه، تقول بثبات:

- هذا لا يعني شيئاً.. تعرف هذا.. انه مجرد..امر عابر.. مجرد رغبة. هذا كل شيء..

لم يرد عليها، اخيراً نامت، نظر الى وجهها وعيناه مظللتان بالحزن.

ايمكن ان يلومها؟ لقد تركها لوحدها تربي طفلته، وآلمها، انكرها، ولا يجدي نفعاً الآن إن يذكر نفسه بأنه.. انه ماذا؟ ارتكب غلطة فادحة؟ هل تصدقه لو قال لها هذا الآن؟ وهل كان سيصدقها لو ان المواقف متعاكسة؟

عما قريب يجب ان يتكلما.. وسيضطر الى ان يشرح لها كل شيء.. وتحركت بين ذراعيه، تضم نفسها اليه اكثر.. واعاد النظر اليها.. حين نظر اليها قبل قليل وشاهد الرغبة في عينيها، احاسيس لا حصر لها

www.elromancia.com

تسارعت في جسدها.. كانت جداً، شهية جداً، ويبدو من غير المصدق انها لم تعاشر شخصاً آخر.. ولا يمكن أن يكون السبب نقص في الفرص لها.

لقد شاهد بأم عينيه كيف يتصرف الرجال نحوها.. مارتن ستيلمان مثلاً.

قشعريرة الم تملكته، حاجة ملحة لأن يضمها ولا يتركها تذهب عنه.. لو انها تستطيع فقط ان تسامحه.. أن تفهم.. تذكر كيف استجابت وكيف عرفت ما يريد.. وكيف كان يفكر بالماضي.. بكل ما حرم نفسه منه، وحرمها منه وحرم طفلتهما. لا زال لم يتخطى بعد صدمة اكتشافه انه أب بعد كل هذه السنين من الخوف وحرمان النفس.. وبعد اقناعه لنفسه انه لا يستطيع المخاطرة بتمرير مرضه الى طفل.. ليس من اجله بل من اجل الطفل.. ثم يكتشف لايبي..

حرك كولبيت بعيداً عنه ثم احنى رأسه يقبل شعرها الناعم الحريري.. شمس السماء لاحت بشرتها تزيد من لمعان بشرتها الزهرية.. وتحركت قليلاً في نومها.

مجرد رغبة عابرة.. هكذا دعت ما جرى بينهما وربما كان هذا كل ما تعنيه لها.. لكن بالنسبة له.. كانت اكثر بكثير..

ـ ٧ ـ

حلم الامس

استيقظت كولبيت ببطء يلفها نعاس دافيء كسول.. كانت تحس بثقل غير مألوف على خصرها، ووجود غير مالوف في السرير.. فتحت عينيها تحدق بارتباك.. الى توماس.

كان لا زال غارقاً في النوم. وجهه قاتم بنمو لحيته لليلة واحدة، شعره مشعث، كتف واحد مكشوف، من تحت غطاء متراجع.. رائحة بشرته تبعث احاسيس متشوشة على بشرتها.

اجفلت لسماع صوت في الاسفل.. شخص فتح باب المطبخ، ويركض بخفة الى فوق.. وقبل أن تفعل اي شيء، انفتح باب غرفتها..

ـ امي اسفة على مقابلتي ابي قبل أن استشيرك اولاً.. لكنني..

وتوقفت لايبي في ارضها، عيناها متسعتان بالصدمة وهي تركز نظرها على الرأس الاسود على المخدة الى جانب رأس امها، ثم بدأت تتراجع نحو الباب وجهها محمر:

www.elromancia.com

- لايي!

الى جانبها احست كولبيت بتوماس يتحرك، ثم يجلس.

- ابي..!

حدقت لايي بهما معاً، صدمتها وحرجها حل مكانهما ضحكة عريضة.

- يا لهما من.. ومنذ متى يجري هذا؟ يا لكما من زوج مليئين بالمفاجئات! وها انا.. افكر.. واقلق.. وطوال الوقت انتما..

تقدمت الى الفراش ووجهها مشرق بالسعادة. ترمي ذراعيها حولهما معاً. تصيح:

- اوه.. هذا امر رائع.. عظيم! لا أصدقه! انتما معاً!

جلست على السرير، ونظرت كولبيت اليها.. محاولة بيأس ان تجد طريقة تكبح فيها توترها وحدتها، وتصحح لها تفسيرها الخاطيء.

وسأل توماس:

- اذن انت موافقة.. اليس كذلك لايي؟

- حسن.. يجب أن اقول انني حين دخلت وادركت ان هناك رجلاً في فراش امي.. اجفلت.. لكن ما أن ادركت انك انت.. اوه.. لأجل الله! منذ متى يجري هذا؟ وانا لا اعلم شيئاً؟ الامر رومانسي جداً بعد كل هذه السنين.. وها أنتما تعودان معاً. متى ستعقدان القران مجدداً؟ ارجو أن لا تتوقعا مني أن اكون الشاهدة.

وضحكت.

كولبيت كانت مدهوشة اكثر من أن تستطيع الكلام.. اصيبت بصدمة، بحرج، بعدم تصديق.. وتحس الان انها غير قادرة على تسجيل اية مشاعر قبل اجلاء الامر كله.. وبما ان توماس، كما يبدو، لا يقول هذا، فستفعل هي..

اخذت نفسا عميقاً:

- لايي.. هذا ليس...

من تحت الغطاء امسك توماس بيدها يشدها محذراً:

- ما تحاول امك قوله، اننا لم نصل بعد الى التفكير بالخطط الرسمية بعد.

- لكنكما عدتما لبعضكما بكل تأكيد..اعرف امي.. ولا مجال لأن تكون معك في الفراش اذا لم يكن..

- اسمعي، لماذا لا تنزلي الى المطبخ وتضعي الابريق على النار؟ اعطني وامك فرصة لنرتدي ملابسنا.

- حسن جداً.. ساعطيكما عشر دقائق، واذا لم تنزلا معاً..

وهي تتجه الى الباب، توقفت مستديرة تنظر اليهما.. والدموع تترقرق في عينيها:

- اوه.. لا استطيع ان اقول لكما كم يعني هذا لي.. كلاكما معا..

www.elromancia.com

انه.. انه.. انه رائع..ببساطة رائع..

واستدارت مجددا لتخرج.. تاركة كوليت فقط عاجزة الى توماس، وجبهتها منغضنة بالاثارة والقلق. ومشاعرها، احاسيسها، احراجها وذنبها نسيتها وهي تفكر بردة فعل لايي حين عرفت الحقيقة:

وقبل ان تتكلم، قال توماس بهدوء:

- احببنا هذا ام لا.. يبدو اننا في الوقت الحاضر على الاقل، علينا ان نلعب الدور الذي يتناسب ما تصدقه لايي.. واننا عدنا الى بعضنا ونحب بعضنا مجدداً.

- لا.. لا أستطيع فعل هذا.

- وماذا تقترحين، نقول لها، اننا على عكس ما تعتقد، كانت علاقتنا عابرة؟

بشاعة المسألة جعلتها تحس بالغثيان، وملأتها بالعذاب وكراهية الذات.. كانت تعلم ان الامر لم يكن اكثر من، رغبة حركته.. لكن سماعه وضعها ببرود في جوها الصحيح، جعلها تريد أن تبكي بالغضب واليأس.. وقال لها:

- لقد كانت ما ترغبين ان تكون. اسمعي.. اعلم أن الأمر ليس سهلاً على اي منا.. لكن يجب ان نضع مشاعرنا جانباً ونفكر بلايبي.. فما جرى واضح انه عني الكثير لها، وكما تظن نحن سوينا خلافاتنا وعدنا معاً مجدداً.. فما هو الضرر في أن نتركها لو سمحنا لها بان تستمر

بالتصديق بهذا لفترة ما؟ على الاقل سيعطينا هذا فرصة لنجد طريقة نقول لها بلطف اننا لا نظن عودتنا ستنجح. لكن اذا اصريت على القول لها الآن..

هزت رأسها.. كيف تستطيع هذا بعدما رأت ردة فعل لايي لوجودهما معاً؟ وابتلعت بقوة ماذا ستفعل؟.. لا.. توماس على حق.. يجب أن ننتظر.. وقال لها...

- هل ارتدى ملابسي اولاً وانزل لأشغل لايي؟ سيعطيك هذا الوقت للتوافقي مع...

- مع ماذا؟ مع الكذب على ابنتي؟ مع التظاهر بانك وانا..

ولم تستطع ان تكمل، فحنجرتها امتلأت بالدموع بدأ توماس يخرج من السرير، فادارت رأسها. وسمعته يقول:

- حول ليلة امس..

- لا.. توماس، ارجوك.. لا استطيع الكلام الآن. لماذا بحق السماء أنت ولايي تتحدثا هكذا؟

• • •

كان في نية لايي، أصلا العودة لنهاية الاسبوع والاعتذار لكوليت على تكديرها، ولأن تشرح لها لماذا أتصلت بوالدها دون استشارتها.

وقالت مرددة لهما مرات ومرات:

- امر لا يصدق أن اراكما معاً مرة اخرى.

لحسن الحظ كان على توماس العودة الى عمله ليبقى بقاءه معهما قصيراً.. وهكذا لم يعد على كولبيت عذاب مواجهة مشاركته الفراش لليلة ثانية.

الماضي لم يعد يذكر خلال زيارته النهارية المتكررة حديث لايبي المهتاج كان كله معه المستقبل. كلما اصغت كولبيت لابنتها، كلما احست بيأس بعقدة الذنب.. عاجلاً ام آجلاً، يجب أن تعرف الحقيقة.. لكن ملامسات توماس لها، قبلاته الخفيفة على رأسها كانت تؤكد اكثر فأكثر انهما في حب عميق.

في حب عميق.. حسناً.. الأمر صحيح لواحد منهما على الاقل.. والمشكلة كانت ان واحد كان يقع اكثر فاكثر في الحب كل يوم يمر.

ولحسن الحظ لم تستطع لايبي قضاء سوى بضعة ايام في المنزل لكن امام هلع كولبيت اقترحت لايبي أن يأخذها توماس معاً لرؤية منزله.

- على اي حال، اتوقع أن تعيش وامي هناك بعد أن تقررا موعد العودة الرسمية. اعني أن عملك هناك و..

ردت كولبيت محتجة:

- لايبي.. لا اظن..

قاطعها توماس:

- لا بأس في هذا.. اضافة الى ان لايبي محقة، مع انني احذرك ان المنزل لا يشبه هذا.. اعني ليس له جو البيت كهذا.. اشتريته منذ خمس سنوات.. وبكل صدق.. انه كبير جداً لشخص واحد.. كبير جداً... ولست ادري لماذا اشتريته.

ابتسمت له لايبي:

- املا بالمستقبل.. ولن امانع في طفل آخر بكل تأكيد ساحب شقيقة لي.

المعرفة التي يشاركها الثلاثة تجلت في هذه الكلمة بالرغم من الابتسامة على وجه توماس.

وأكملت لايبي بهدوء تقول لهما:

- اذا اثبتت الفحوصات ايجابيتها لن يمنعني هذا من الانجاب. ليس الصبيان.. بل البنات.

اجفلت كولبيت بعد أن رأت توماس يسير نحو الابواب الزجاجية للشرفة، ظهره متصلب ومتوتر، وسألت لايبي:

- ما الامر.. ماذا قلت؟

ردت كولبيت بلطف.

- انه قلق عليك.. اعطه.. الوقت.. لايبي. يحس بالذنب بالمسؤولية لواقع انك قد لا تختاري انجاب الذكور دون مخاطرة.

- لكن على الأقل استطيع الاختيار.. ماذا كنت فعلت امي لو انه قال لك عن المرض بعد معرفتك انك تحملين بي؟

- لست ادري. اظنني كنت ساستمر بحملي.

تقدمت لتقف قرب النافذة

- ابي يبدو وحيداً.. اظنه اشتاق اليك كثيراً.. واضح ها هي مشاعره نحوك، واعرف انك تحبينه.. وانك دائماً كنت تحبينه.. وانا سعيدة لرجوعكما معاً.

- لايي.. الامور ليست بهذا الوضوح.. قد لا تنجح.

ركضت لايي الى ابيها تضمه بحب جعل عيني كوليت تمتلأن بالدموع. فقريباً يجب ان تقول لابنتها الحقيقة.. لكن ليس بعد.. ليس وعلاقتها مع توماس لا زالت جديدة، وهشة. القيادة عبر المحيط الذي كان يوماً مألوفاً لها للبلدة التي عاشت فيها مع توماس جعل كوليت تشعر بتوتر متزايد.

لقد تغيرت البلدة، كبرت وانتشرت، لكن ساحتها كانت لا تزل كما هي. واشار اليهما توماس الى مكتبه الجديد، مكتب اكبر من القديم. كان قد اشترى حصة شريكه منذ سنوات، ووسع اعماله بحيث اصبح لديه الآن موظفين كفوئين يعملون له، مع مدير مكتب وعدة كُتّاب.

من زاوية عينها، شاهدت كم اجفل متألما حين اضطر الى التوقف امام شخص يقطع الشارع.. قطعة العظام التي منحها للابحاث، مع ضعفه

الاصلي ترك ندبة صغيرة على فخذه.. واحمر وجهها فجأة حين تذكرتها وتذكرت كيف دلكتها له، وكيف داعبتها بحنان.. وكرهت نفسها على ضعفها.. وسمعته يقول شيئاً عن أن المنزل لم يعد بعيداً. كانوا خارج البلدة الآن، يمرون عبر الضواحي، نحو الريف، وادركت بارتياح انهما في الجهة المضادة من المنطقة التي كانا يسكنان فيها.

استدارت بهم السيارة الى طريق ريفي هادىء، واستدار توماس الى طريق خاصة، وحبست كوليت انفاسها للصدمة التي سببها لها رؤية المنزل.

منزل مزرعة منخفض، مدهون بالابيض وسقف احمر ونوافذ زجاجية معدنية.. يحيط به حديقة، مليئة مكتملة تحميها دائرة من الاشجار.

وقالت لايي:

- اهذا هو..؟ انه رائع! ما رأيك امي؟

اوقف توماس السيارة، ونظر هو ولايي الى كوليت بانتظار ردها، فقالت بارتجاف: انه.. لطيف جداً:

وبختها لايي:

- لطيف جداً..! اوه هيا الآن امي.. بامكانك قول شيء افضل:

ابتسمت كوليت، ابتسامة شاحبة منذ زمن.. زمن بعيد، في بعد ظهر صيف حار كانت مستلقية مع توماس على سريرهما.. ووصفت له النوع

www.elromancia.com

من المنازل الذي تهوى ان تمتلك وتحلم ان يكون لها عائلة فيه.. هذا المنزل من واجهته الخارجية قد يكون مصمم ليتناسب ذلك الوصف.. واحست بسخرية قاسية لأن يمتلكه توماس.

فتحت لايبي باب السيارة ونزلت، وبقي توماس وكوليبيت لوحدهما.. وقال لها بهدوء:

- اشتريته بسببك، كنت امر يوما وشاهدته.

- وصدف انه معروض للبيع.. وفكرت: اوه هناك منزل مناسب لكي تريده كوليبيت.

واختنق صوتها بالدموع.

- لا.. في الواقع لم يكن للبيع.. لكن مالكيه كانا عجوزان ويفكران بالتقاعد في منزل ملائم اكثر.. وقلت لهما اذا فكرا يوما بالبيع ان يتصلا بي.

- هل كنت تريده الى هذه الدرجة؟

- بل كنت احتاجه الى هذه الدرجة..

انحنى فوقها يفك لها حزام الأمان.

سرت رجفة فيها تحت ثيابها، وقال:

- كوليبيت انا..

يده كانت على كتفها وصوته منخفض ملحاح. واحست بشكل غريب

انها لو نظرت اليه الآن قد لا تتمكن من ايقاف نفسها من التوسل اليه أن يقبلها.. وقالت لايبي تحتهما من الخارج:

- تعاليا.. اريد رؤية الداخل.

داخل المنزل كان متناسقاً تماماً، بيت عائلي بكل معنى الكلمة.. وكان يجب ان ينعم بالدفء والترحاب. ولكنه كان فارغاً.. بارداً، مهجور، غرفة عارية قاتمة.

وارتاحت كوليبيت.. كان يشبه فندقاً. بل اسوأ بكثير من فندق، له جو وحيد، وكأنه مؤسسة، ينقصه الدفء والحياة والحب. لا صور معلقة، لا زهور، لا اشياء صغيرة بشخصية.. انه فارغ عقيم..

سمعت لايبي تسأل اباها.

- كم غرفة فيه؟

قال وهو يسير امامها الى الطابق الاعلى:

- خمسة، ثلاثة حمامات.

انه منزل كبير لرجل وحيد.. فلماذا اشتراه؟.

في الاعلى، كانت غرف النوم فارغة من اي أثر للبيتوتية، كما التي في الاسفل.. خارج أخر غرفة وقف توماس، ثم قال باختصار:

- هذه الاخيرة.. غرفتي.. ولا اظن هناك حاجة لأن اريكما اياها.

كان الباب مفتوحاً قليلاً، وهم يمرون قربه، التقطه تيار هوائي، ففتحه

www.elromancia.com

أكثر.. آليا، التفتت كوليت تنظر الى الداخل.

على الخزانة الصغيرة قرب السرير، رأت اطار صورة فظي. كانت مستديرة نحو السرير ولم تشاهد الصورة التي فيها.. لكن على الفور اخذت الغيرة تمزقها.. الآن عرفت لماذا لا يريدهما رؤية داخل غرفته.. لأنه لا زال يحتفظ بصورتها. صورة المرأة التي تركها لأجلها.. وواضح أن غرفة نومه لا زالت المزار لها.. ولحبه.

من السوء بما يكفي انه لا زال يثيرها عاطفياً.. لكن هذه الغيرة سخيفة.. وهذا اليأس، هذا الالم، وهذا الحسد لامرأة اخرى استحوذ على حبه.

المطبخ بالرغم من كبره، كان مجهزاً تماماً، لكنه مهجور كبقية المنزل.. وبينما كان توماس يضع الشاي حاولت كوليت تجربة حيالها، وبدلت الوحدات الخشبية من الفورمايكا بشيء اقل فسوة.. واكثر دفئاً. من الخشب ربما، مع حفر آجري في الاعلا، مع موقد من طراز قديم بدلاً من الطباخ الحديث، كسوة ناعمة على الارض، مغطاة ببضع أبسطة، وطاولة كبيرة في الوسط كي تجتمع عليها العائلة..

اية عائلة؟ اجفلت فجأة تسأل نفسها بحرارة.. العائلة التي قال لها انه لن يحصل عليها ابدا؟ وهذا على اي حال منزله، وليس منزلها، ثم ماذا عن المرأة الاخرى؟ واذا كان توماس قد قال لها في ايام زواجهما الاولى أن أنجابه للاطفال مستحيل.. ماذا كانت ستفعل؟ أتتركه الى رجل آخر

يخفق لها احلامها بعائلة كبيرة؟ هل كانت مستعده للتخلي عن رغبتها في العائلة فتبقى معه؟ هل كان حبها له قوياً بما يكفي لتفعل هذا؟

- انت صامتة جداً..

اجفلت كوليت لصوته المنخفض.. لم تدرك حتى انه كان يراقبها.. حتى الآن، تجد صعوبة في البقاء مسيطرة على نفسها حين يذكر اهتمامه عليه. ترتعب مما يمكن ان يكتشفه فيها.

قالت لايي بخبث، تعرف طبيعة امها:

- انها على الارجح تغيّر ديكور كل شيء.. اية غرفة اخذتها للاولاد امي؟

قال توماس، متجاهلاً اخر جزء من كلام ابنته:

- المنزل بحاجة الى لمسة امرأة.. بعد أن اشتريته.. وصمت.. ثم غيّر الموضوع:

- انت لم ترى الحدائق بعد، ولكن لا تريد أن تتأخر في العودة.. لقد حجزت طاولة لنا في المطعم للساعة الثامنة.

كانت الحدائق معتنى بها جيداً، اكثرها مروج خضراء، مع مساكب زهور، كانت رسمية اكثر من أن تناسب ذوق كوليت الخاص.. مع انها احبت نضوج الاشجار الكبيرة التي كانت تحيط بالحدائق وتحميها من النظر.. وسارت كوليت عبر المرجة الى منزل صيفي صغير في الجانب

الآخر من الحديقة..

العريشة ذات العناقيد الحلوة، كانت قد انهت موسم ازهارها، لكن الورد المتعانق معها والمتعرش مثلها، كان يحمل وروده الزهرية الرائعة، بعضها نصف متفتح، والرائحة العطرة تحيط بها.

- كولبيت.. هل انت بخير؟

لم تسمع تقدم توماس، فاستدارت، وجهها كئيب وشاحب، عيناها، دون اراءه منها، تكسفان التوتر الذي تمر به.

- بالطبع لست بخير.. فكيف اكون؟ وكل هذه التمثيلية.. ولم تقترب بعد من القول للايبي اين هي على اي حال؟.

- ظنت انها شاهدت سمكة في البركة.. لا تزال هناك تبحث عنها.. ماذا كنت تفضلين؟ ان نقول لها أننا ذهبنا الى الفراش معاً لمجرد ذكرى الايام الخوالي؟ اهذا هو حقاً النوع من المثال الذي تريدين أن نظهر به لها. الانطباع الذي ترغبين في ان تعطيها حول علاقتنا؟

- اية علاقة ليس لنا علاقة:

- كان لنا يوماً.. لقد فكرت بك حين اشتريت هذا المنزل.. انه يشبه الذي قلت انك تريدينه.

ابيضّ وجهها مصدومة.. لشدة قساوة التعليق العفوي الذي ادار رأسها جانباً بحركة دفاعية، مما سبب لشعرها ان ينسدل على وجهها، وبدأت

الدموع تغشي عينيها، فحاولت بقوة منعها من النزول.

- كولبيت.. ما الامر.. ماذا..؟

كان يقف قريباً جداً منها، ينحني فوقها يده على الجدار، بحيث كانت مأسورة بينه وبين الجدار. واكمل.

- اسمعي.. اعرف كم ان هذا كله يسبب لك التوتر.. لكلينا.. لكن.. من اجل لايبي.. ستعود الى الجامعة في الغد.. افهم كيف تشعرين.. لكن اذا.. قاطعته بخشونة:

- لكن اذا.. ماذا؟ لو لم اتوسل اليك، بالمعنى المجازي لتنام معي، ما كان حدث كل هذا..

- لكن لم يكن هذا ما كنت ساقول.. اما بالنسبة للتوسل الي.. انظري الي.. كولبيت.

نظرت اليه بسرعة وقلبها يخفق بسرعة مفاجئة.

- كما اذكر.. لم يكن الامر هكذا..

اصبح الآن قريباً جداً.. جداً منها.. واحست بدوار لاحساسها به، من تجاوبها الشرير الخبيث الخانق معه.. احست بنفسها تتحرك، تقترب منه تحس الاحساس الناعم الزائف في داخلها، يحثها ان تلتصق به.

ولا بد انها بالفعل تحركت.. فجأة لم يعد هناك بينهما فاصل، اليد التي كان يسندها على الجدار، كانت الآن تلامس كتفها، وتديرها

www.elromancia.com

نحوه.. ويهمس باسمها، دفء انفاسه تداعب خدها، وارتجفت شفتاها على الفور وانفرجتا، وارتفعت ذراعاها تلتفان على عنقه بينما التفت ذراعاه حولها حاولت ان تقاوم، ان تذكر نفسها انها كارتداد لهذه العادة الان ستدفع مرات ومرات عذاباً وخسرانا.. لكن احاسيسها كانت مغمورة، اكثر من ان تصغي الى عقلها.

- هاي.. انفصلا.. انتما معاً.

لم تعرف كولبيت من منهما كانت صدمته اسرع امام ضحكة لايي.. لكن حين حاولت الابتعاد عنه، مسك بها وتمتم في اذنها:

- لا.. ليس بعد.. لا استطيع الانفصال عنك.

بدأت ترتجف بردة الفعل.. لكن الالحاح في صوته جعلها تنظر اليه. عيناه كانتا سوداوين والبؤبؤ كبير، شديد السواد.. لون احمر خفيف كان قد تسلل الى وجهه، يزيد من حدة نتؤ خديه وأكمل هامساً..

- قفي حيث انت لحظات الى أن..

قطبت كولبيت، محتارة بالمزيج من التوتر والتعجب في صوته.. ثم قال هامساً:

- مع أن ابنتنا تفهم كل شيء، لكنني من الطراز القديم، ولا اريدها رؤية الاثارة على وجهي.. فانا ابوها، وبالنسبة لها..

صمت باحمرار وجه كولبيت، ولامست بسمة صغيرة فمه، ورفع يده

الى وجهها، اصابعه باردة - اذن، لا زلت تحمرين خجلاً.. امر مذهل.. اتذكرين اول مرة.. لقد رفضت النظر الي بعدها.. وكم كنت محرجة عندما...؟

قالت لايي تسخر منهما وهي تقترب..

- اظن انكما كلما اسرعتما في تحديد موعد العودة، كان هذا افضل.. انت محق ابي.

احساس صغير تحرك في نفس كولبيت.. الم لذيذ مخلوط بفخر، وخسارة، بعد أن علمت انها لا زالت تؤثر على توماس هكذا.

لا تكوني سخيفة.. انه رد فعل طبيعي لرجل.. اية امرأة كانت ستفعل له الشيء عينه. هذا لا يعني شيئاً على المستوى الشخصي.. لا شيء ابداً.

لكن، اذا كان هذا ما تصدقه.. فلماذا مجرد التفكير بحياة من دونه يجعلها تحس بالبؤس، والأكتئاب واليأس؟

كان لمنزلها الصغير غرفتا نوم فقط، لحسن الحظ.. هكذا اضطر توماس الى الاقامة في فندق محلي، بدلاً من العودة معهما الى المنزل بعد العشاء.. وصارحتهما لايي حول هذا تذكرهما بما انها ضبطتهما معاً، فلا داعي لعودته الى فندقه. واكملت:

- سافتقدكما معاً حين اعود الى الجامعة.. مع ذلك لن يكون هذا الوقت طويل.. ستكون معاً في عطلة منتصف السنة.. ولقد رتب مارتن

www.elromancia.com

لي أن أجري فحوصاتي.. وهذا ما يذكرني، يجب أن اتصل به واعرف متى بالضبط هو موعدي معه.. وكم انا محظوظة امي، ليس لمجرد انني ولدت، بل لأني حية.. وحين سيكون لي الخيار.. ولا اضطر الى القرار الذي واجهه ابي.. امي، المرأة الاخرى..التي تركك لأجلها..

- لايبي.. ارجوك، لا اريد مقاطعة هذا. ولا تتشبثي كثيراً بفكرة عودتنا.. اعني الوقت مبكر. وقد لا.. لا تنجح.

بدأت لايبي تضحك:

ماذا؟ لا تكوني حمقاء امي! واضح لك من يرى ان كلاكما مجنون بحب الآخر.. الطريقة التي ينظر فيها ابي اليك، حين يظن ان لا احد يراه.. تذكرني بقطرة كلب جائع ينظر الى عظمة لذيذة جداً.

ردت بجفاء:

- شكرا لك..

تجاهلت توبيخها:

- لماذا لا تعودين معه حين يعود الى منزله في الغد؟ على اي حال، لا شيء يمنعك، صحيح؟

- لا؟ انسيت وظيفتي؟

- لم انسها.. لكنك ستتخلين عنها، بعد عودتكما.. اليس كذلك؟ اعرف انك قد تستمرين في عملك مع مشروع جمع التبرعات، ومما قاله

ابي حول مشاركته في الابحاث، سيدعمك دون شك. لكنك، اذا حملت وانجبت طفلاً او اثنين..

تنهدت كوليت ووقفت، تقول لابنتها:

- من الافضل ان ننزل الى تحت سيحضر توماس قريباً..

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة

ـ ٨ ـ

كم احبك!

على اي حال.. لا زال امام كولبيت عمل تقوم به.. ذكرت نفسها بهذا وهي تقبل ابنتها وداعاً.. ثم تلوّح لها.

كانت قد اتصلت بتشارلز دين واخبرته انها ستتأخر في الوصول الى المكتب.

حين وصلت حياها بحرارة، يضمها بعاطفة.. تسارعت دون لهفة، لماذا ضمة رجل تترك مشاعرها ويدها باردتين.. بينما مجرد لمسة من آخر..!

من التعليق الذي قاله تشارلز وهي تعمل عرفت انه لا بد سمع شيئاً عن توماس، مع انه لم يسألها مباشرة عمن يكون.. او اي دور له في حياتها.

واجابت كولبيت بابهام على تساؤلاته المبهمة اكثر.. تقول له، دونماارتياح، ان من غير الجدوى بحث مثل هذه العلاقة المقربة، التي كانت لهما يوماً، مع اي شخص آخر، طالما ان توماس لا يمكن أن يكون

له دور دائم في حياتها.

وعملا معاً الى وقت متأخر.. مع مسألة وصلت من الخارج في اخر لحظة، ثم عادت الى المنزل، تحس بالتوتر والتعب.

في مؤخرة تفكيرها، كانت المعرفة، غير المرغوبة والخطرة، انها كانت تأمل ان يتصل بها توماس، بالرغم من عودة لايبي الى الجامعة وعدم وجود سبب يدعوه لهذا. وكانت نصف آملة ونصف خائفة حين مرت الامسية دون اتصال، قالت لنفسهاانها مسرورة، ومرتاحة، لأن توماس لم يحاول الاتصال.. مع ذلك حين آوت الى الفراش، كانت تفكر به.. تتسأل عما يفعله الان ومع من هو.

بالرغم من انه اصبح واضحاً من احاديثه، أن عمله ناجح جداً، وأن لديه مجموعة اصدقاء مقربين.. إلا انه لم يشر الى اي شيء مميز.. الى امرأة او الأمرأة... لكن، من غير المحتمل ان يذكر هذا.. اليس كذلك؟ مرّ اسبوع.. ايامها كلها عمل، تحاول لحاق عملها المتأخر الذي تكوم امامها خلال غيابها.. لكن، بالرغم من تعبها، لم تكن تنام جيداً.. أفكارها دائماً تعود الى توماس.

كل هذا بسبب الضغط العاطفي للتمثيلية التي اجبرت على لعبها تحت ضغطها مع وجود لايبي في المنزل.. واقنعت نفسها بارتباك وهي تقاوم لتمحو الصور النفسية لتوماس، التي استمرت في التجمع في رأسها، تهدد بالاستيلاء على حياتها كلها.

مساء الجمعة، وهي تدخل لتوها الى المنزل، بدأ جرس الهاتف يرن.. فسارعت تلتقط السماعة وقلبها يقفز، معدتها تتقلص، لكنه كان مارتن.. يتصل ليؤكد لها مواعيد فحوصات لايبي.

ثم اضاف بتكلف:

- على فكرة.. فهمت أن التهاني قادمة على الطريق.. حين لم ترد، تابع:

- لايبي اخبرتني الخبر السعيد.. ويجب أن اقول انه صدمني.. لم يكن لدي فكرة ان توماس وانت.. بالطبع أنا مبتهج لكليكما، وواضح ان لايبي تقف فوق القمر.. اعرف انكما لم تحددا موعدا بعد.. لكن..

قاطعته بخشونة:

- لايبي قالت لك انني وتوماس سنعود لبعضنا؟

- اجل.. اجل.. هذا صحيح.. اعرف أن الامر لم يضبح رسمياً بعد.. لكن يجب أن اقول ان توماس رجل محظوظ كوليبيت.. وانا سعيد جداً لك عزيزتي.. لكليكما.. لكن على الاخص لك.. مع انني...

استمر في الكلام لعدة دقائق، وكوليبيت تغمض عينيها.. ممتنة لعدم وجود احد معها ليشهد الصدمة التي مبيبها كشفه هذا لها.

كيف يمكن للايبي أن تفعل هذا لها! كيف يمكن لها ان توحي لمارتن انها وتوماس..؟ مخدرة الاعصاب، اعادت السماعة.. اول تفكير متدفع لها

كان الاتصال بلايبي ومعرفة ماذا دهاها لتفعل هذا.. لكنها احجمت لمعرفتها بعقم ما تفعل..

ماذا ستفعل الآن بحق السماء؟ صحيح أن مارتن ليس بناقل للأشاعات، وصديق مقرّب، لكن مع هذا.. عضلات معدتها تقلصت.. واحست بالالم وهي تفكر بالشائعات التي ستنتشر حتماً حين يعرف الناس انها لن تتزوج توماس.

من البديهي في مثل سن لايبي أن لا تهتم بآراء الاخرين وتعليقاتهم.. اما توماس فهذا ليس موطنه.. ولن يضطر للعيش مع النتائج التي تسببها اية شائعة.. بينما هي..

هناك شيء واحد تفعله.. يجب ان تقابل توماس وتقول له ما حدث لترى ما اذا كان هناك وسيلة لاصلاح ما فعلته لايبي من ضرر دون وعي منها.. فهو على اي حال، لن يرغب ان يفترض الناس بانهما سيتزوجا فعلاً بقدر ما لا ترغب هي في هذا.

كانت لا تزال مرتدية ملابس العمل.. وكان المساء رائعاً ودافئاً.. قبل ان تخرج، صعدت الى غرفتها واستحمت، وغيرت ملابسها الى بنطلون جينز وتيشرت ناعمة.

دون حذائها المرتفع، كانت تبدو اصغر حجماً من أن تكون راشدة.. ثم ألم يحن الوقت بعد لتغير تسريحة شعرها الى شيء، اكثر حداثة وتحذلقاً من فرده على مستوى الكتفين؟ تسريحة تعطيها نضجاً وسلطة

www.elromancia.com

اكبر؟ كشرت لنفسها في المرآة، ونزلت الى الطابق الاسفل. اخذت مفتاحها، وحقيبتها، وخرجت من المنزل.. لكنها بعد أن قادت الى منتصف المسافة نحو توماس، سمحت لنفسها أن تعترف انه كان بامكانها بحث الامر معه على الهاتف بسهولة اكبر.

لكن هناك اشياء يجب ان تقال وجهاً لوجه.. وتجاهلت الصوت الداخلي الصغير الذي كان يعذبها، يقول انها انما تستغل مكالمة مارتن كعذر لتركض وراء توماس.. وأن صدمتها لاكتشاف ان مارتن يؤمن انها ستتزوج، ليس الدافع الحقيقي.. بل هو الشوق لتوماس.. ولكي تكون معه.

باحساس ذنب، حاولت ان تمحو مثل هذه الافكار المرتبكة، وركزت على قيادة السيارة.. حين وصلت الى منزله، ودخلت الطريق الداخلية، ودون وجود توماس معها وتأثيره عليها ليلهيها، كانت تعي جيداً جداً المنزل المهجور.

توماس ومنزله، يشاركان بالوحدة.. اوقفت السيارة ونزلت.. حين قرعت الباب، لم تسمع رن الجرس.. ولا وجود لسيارة توماس.. انظري اذن على ماذا حصلت لتصرفك الطائش الغبي! لقد جئت مسرعة الى هنا، وبدون حاجة ابداً.. وتستأهلين أن لا تجديه!

لكن، بدلا من العودة رأسا الى سيارتها، والعودة رأسا الى بلدتها، اخذت تتجول باتجاه جانب المنزل الى الحديقة الخلفية.. كارهة أن

تستمع الى صوت العقل، تريد أن تبقى هنا، وكأنما ببقائها في منزل توماس، تبقى قريبة منه..

قالت لنفسها وهي تسير فوق المرج: غبية.. لكن مشاعرها، احاسيسهارفضت ان تتجاوب بعقلها.

توماس.. كم غباء منها أن لا تزال تحبه.. تشتاق اليه.. تتألم لأجله وكأنما نموها النفسي والجسدي توقفا تماماً حين تركها.. وكأنها لا زالت تلك الفتاة الصغيرة التي ظنته يحبها بنفس العمق والديمومة كما احبته.

كانت الورود المحيطة بالمنزل الصيفي قد ابتعت كلها، لكنها اخذت تتعش وترتجف، ولم تدرك إلا بعد أن احست بلل خديها ان هذا بسبب انها كانت تبكي.

لماذا، وبعد عشرين سنة من سيطرتها الكاملة الحازمة على مشاعرها، تتصرف الآن هكذا.. تنفجر بالدموع دون انذار، تعاني كل الجيشان العاطفي والعذاب لأمرأة غارقة في الحب؟ غطت وجهها بيديها، تبكي بصمت، جسدها يتشنج وهي تستسلم للمشاعر التي تدمر سيطرتها على نفسها.

توماس.. تحبه كثيراً..

من مكان ما، بعيد.. سمعت صوت سيارة..لكن الصوت غير واضح، ولم يسجله دماغها، غير قادر على اختراق عمق حزنها..

توماس.. لقد تأخر الوقت كثيراً الآن للتمني لو ان القدر لم يعيده الى

www.elromancia.com

حياتها. وحيات لايبي..

اول شيء شاهده توماس لدى دخوله الطريق الداخلية لمنزله، كان سيارة كولييت. وهو يوقف سيارته، ويفك حزام الأمان، تغضن وجهه باضطراب حاد.

شيء ما خاطيء.. شيء ما يجب ان يكون خاطئاً ليجيء بكولييت الى هنا.

وبدأ قلبه يخفق، والخوف يلوي سيطرته على نفسه.. أنها لايبي.. شيء ما حدث.. الفحوصات وهو يستدير نحو زاوية المنزل ويرى كولييت تقف دون حراك وظهرها اليه..

قفز عبر الحرج نحوها، ينادي باسمها وادارت وجهها.. في نور الشمس شاهد الدموع، والألم في عينيها..

دون تفكيرها بما يفعل، امسك بها، ضمها اليه، وضع يده في شعرها، يلمسه، وجسده كله يرتجف كجسدها تماماً.. ثم قال هامساً:

- كولييت.. لا تبكي.. ارجوكي لا تبكي.. لا تبكي حبيبتي.. اخبريني ما حصل.. اهي لايبي.. انها لايبي.. اليست كذلك؟

- لايبي!

تصلبت كولييت.. ورفعت رأسها عن صدره.. صدمة رؤيته يسرع اليها، ويحتضنها ويهمس باسمها بحنان وقلق، يأتي كله فوق افكارها

المعذبة الكئيبة، تركها دون دفاع لتقاومه.. لكنها الآن اصيبت بصدمة مرتجعة اعادتها الى الواقع..

وهو يحس بارتجافها.. اشتدت ذراعاه حولها.. وسمعته بنأوه، واحست بالنفس العميق المرتجف الذي خرج منه.

- كولييت.. حبيبتي.. انظري الي.. واخبريني.. حبيبتي.. لقد نادها بحبيبته.. واستشرى الارتباك فيها، فرفعت رأسها لتنظر اليه.. وتمكنت ان تقول بصوت مرتجف.

- ليس الأمر متعلقاً بلايبي.. انها.. بخير.

قطب:

- ليس لايبي؟

انتظرته ليتركها، ويتراجع، ويرفضها، لكن ولو أن ضغط ذراعيه استرخى قليلاً، وغادره توتره، إلا انه بقي يضمها بحزم، واليد التي كانت في شعرها، تسللت الى عنقها، وبقيت اصابعه تدلك عضلاتها المتوترة:

- ما الأمر اذن..؟

كان ينظر اليها، يبحث في عينيها، حتى انها أشاحتهما عنه.. وانخفضت عيناه على فمها، ووقفتا هناك.. واحست بهما وكانهما يلامسان شفتيها.

- كولييت.. كنت تبكين. ما الأمر؟ ماذا حدث؟

www.elromancia.com

هزت رأسها غير قادرة على الرد، في نفس الوقت الذي طارت فيه نحلة سمينة طنانه، وهي تخفض رأسها لتتجنبها، طار شعرها على وجه توماس، فرفع يده، واخذت اصابعه تداعب حريره.. ثم اعادت النظر اليه.. عيناها متسعتان مجفلتان فقد تلفظ باسمها بصوت منخفض متشنج.. واحنى رأسه نحوها. مسحورة، انتظرت.. غير قادرة على الانسحاب وجسدها ضمن دائرة ذراعيه، ولا استطاعت ابعاد نظرها عن فمه.. حين لامستها شفتاه اغمضت عينيها، واخذت ترتجف.

لامس وجهها بيده، يمسكه بلطف، اصابعه تدلك بشرتها قبل ان تتسلل الى الخلف نحو شعرها، تمسك بثقل رأسها مشدوداً اليه.

وسمعته يقول:

- كرليبيت.. اريدك.. اريدك كثيراً.. كثيراً.. وهي تستجيب له، ترحب بالحميمة بينهما، كانت تعي تماماً انها المسؤولة عما يحدث.. وانها هي التي تشجعه وتدعو شغفه، الذي اصبحا الآن يتشاركانه معاً.

من حولهما، كانت الحديقة عابقة برائحة عطر المساء للورود والازهار النامية.. الاسبوع الذي مر، كان جافاً دون امطار، وحين انزلها توماس الى العشب، احست بدفء الارض والرائحة الطازجة الخضراء للعشب، الملاصقة للاشجار، الناعمة على خدها وهي تديره دون وعي نحو توماس، تبحث عن استمرار الاتصال به، والمشاركة.

حين تردد. يمسك بوجهها، يمر باهمه على صدغها، يبحث في عينيها،

قرأت سؤالا لم يسأله بعد.. وخفق قلبها بحدة.. وكان هناك مئة... لا... بل الف سبب يمنعها من أن تفعل هذا.. لكن، ولا واحد منها يهمها الآن.

وقال لها بصوت اجش:

- العقل السليم يقول لي، اننا لا يجب أن نفعل هذا لكن، الآن، لا شيء اريده اكثر من ضمك بين ذراعي.. اتذكرين كيف كان الامر بيننا؟

وهل تذكر..؟ ابتسمت عيناها واسودتا.. تعكسان رغبتها، وارتجفت يديها.

- كثير من المرات حلمت انك تضمني هكذا. كان ينحني فوقها، يعبث بأزرار قميصها يعرض جسدها للشمس وللمسات يده وفمه.

منظر رأسه الاسود ينحني فوقها كاد يوقف قلبها.. لكنها الان امرأة، ولم تعد فتاة.. ولعشرين سنة لم تفكر بجسدها ابداً.. مع ذلك فها هي الآن تعي الفرق بين المرأة في سن العشرين وبين الناضجة في سن الثامنة والثلاثين.. وتوماس تغير ايضاً.. وفي نظرها الى الافضل.

حين تراجع عنها، سارعت تغطي نفسها بقميصها، ولا بد ان مشاعرها، ظهرت في عينيها لأن عيناه تغيرتا فجأة، وقال لها بصوت اجش:

- ليس لأنني لا اريد.. بل لأنني خائف.. خائف ما أن احس بطعمك.. ما أن.. انا خائف ان افقد سيطرتي على نفسي.. وأن اؤذيك.. ان استعجلك.. لقد حلمت بهذا الوقت طويلاً طويل.. تأكلت شوقاً اليك..

www.elromancia.com

ثم، شاهدها تبكي، فصمت، ليسأل. فجأة:

- ما الامر.. ماذا قلت؟ اذا اردتني أن اتوقف..

المنطق كان يقول لها ان هذا بالضبط ما تريده ان يفعل، لكنها رفضت الاصغاء للمنطق.. كان يجلس مستقيماً، ينظر اليها بلهفة، وجلست بدورها، تهز رأسها، تعلم أن ما من طريقة يمكنها ان تقول فيها له ما في قلبها، ما من طريقة لتقول له ببساطة كم تحبه وتريده.. ما من طريقة تجرؤ فيها على افساد لمسة السحر الذي يحدث، بتفسير اخرق، وسؤال سخيف.

لم تعد فتاة صغيرة.. تحكمها تخيلاتها، وتوقعاتها.. انها امرأة، وحرة لاتخاذ القرارات الاستسلام بحب توماس الآن.. واظهارها له كم تريده وتحتاج اليه.. سيجرحها.. فالحاجة امر لا يعني سواها.

وقبل ان تفقد شجاعتها مدت يدها اليه، اصابعها ترتجف تفك ازرار قميصه.

للحظات لم يتحرك.. لكن حين ادرك ما تفعل اخذ يساعدها، ورمى القميص عنه وازراره لا زالت عالقة حتى انه اضطر للشد عنيفاً على الاكمام. مما جعلها تضحك، ضحكة نصفها متوتر.

من السخيف ان منظر صدر رجل يؤثر عليها هكذا. يجعل يديها ترتجف وهي تمد يدها تلامسه.. ونفض عرق في عنقه.. فلامسته باطراف اصابعها، تقيس مدى سرعة نبضاته.. وسمعته يتأوه، واثارها صوته الاجش.

تتصاعد اللون الرقيق الناعم تحت بشرتها، ورأت الاثارة تدخل عينيه.

ربما لو أنها اصغر سنا لما فعلت هذا.. ربما كانت من يشير الى رغبتها، لكنها بالكاد الآن تستطيع التظاهر انها لا تريده.

تذكرت كيف انها في البداية، كانت تجد منظر جسده موترا الاعصاب.. ربما ليس مخيفاً، لكن ليس مقيداً، ولم تشعر يوماً بالارتياح له. لكنها الآن ترحب بهذه الحرية التي تشعر بها معه..

فجأة فتحت عينيها تنظر اليه، تسأله بصوت مليء بالالم:

- اذن.. لم ينجح الامر.. معها.. المرأة التى تركتني لأجلها..

امسك بوجهها، يمسك بحيث لا تستطيع تجنب النظر اليه.

- ماذا؟ اية امرأة اخرى؟ لم يكن هناك اية امرأة.. تركتك تظنين هذا لأنني.. لأن هذا يسهل الامور.. يسهل لي تركك تذهبين.. ولكي اقول لنفسي انني افعل الصواب لك، اذا لم يكن لنفسي.. وانك ستجدين غيري.. شخص يمكنه ان يعطيك الاولاد، وانك، اذا عرفت الحقيقة يوماً، ستكوني شاكرة لي..

لم تستطع استيعاب ما سمعت:

- لم يكن هناك امرأة اخرى؟ لكنك قلت.. هز رأسه يقاطعها:

- لا.. انت التي قلتي.. قلت لك فقط أن زواجنا قد انتهى.. ولم اصل الى حد التفكير بأي شيء ماكر كادعاء ان هناك امرأة اخرى..

www.elromancia.com

كنت لا زلت احس بالغثيان لاكتشافي ما ورثته.. كل ما استطعت التفكير فيه كان انني لا يجب أن اسمح لك باكتشاف امري.. وان حياتك لا يجب ان تتمزق وتتدمر بالطريقة التي حصلت لي.

ردت كولبيت ببطء.

- ليس هناك امرأة اخرى.. اتعني انك تركتني طلقتني.. بسبب...؟

- بسبب انني علمت من والدي أن امي كانت تحمل الجرثومة، وانني لا بد احملها.

- وطلقتني لاجل هذا؟ تركتني اعتقد انك لم تعد ترغب بي.. لم تعد تحبني.. بسبب هذا؟

كل صدمتها، رعبها، كان واضحاً في صوتها. عيناها متسعتان متهمتان:

- اظننت فعلاً انني ضعيفه الى هذا الحد.. ضعيفة الى درجة أن معرفتي الحقيقة ستشكل فارقاً في حبي لك؟ الم تكن تدرك كم احبك؟ ابيضّ وجهه. وقال ببساطة دون مواربة:

- اجل كنت اعرف.. لكنني كذلك كنت اعرف كم تحبين الاولاد.. كم هي مهمة العائلة لك.. ولو عرفت بالمرض الموروث قبل الزواج. لو كنت في موقف كبرت معه لاعرف بامري.. واناقش الامر معك.. أن اكون صادقاً معك. لكن..حسن جداً..حين تزوجتني كنت تؤمنين اننا سننجب الاولاد.. وقلت لي كم انهم مهمون لك.. اتذكرين هذا؟ فما هو الحق الذي لي لاقول لك اننا لن نستطيع الانجاب؟

- لكنك كنت تحبني.. انت، وليس أبا خرافيا لاولاد لم احمل بهم!

- تقولين هذا الآن، لكن فكري كوليبيت.. كنت صغيرة جداً.. واعرف انك تحبيني، واعرف كم انت مخلصة.. وكنت ستبقين معي، وتستمري في حبي..على الاقل لفترة ما.. لكن الى متى سيتسمر ذلك الحب؟ سنة.. سنتان، ربما اطول.. لكنني لا استطيع أن اعيش مع الخوف أن يأتي يوم تتركيني فيه.. وان حاجتك للاولاد يوماً ستتغلب على شفقتك عليّ، وكان عليّ أن احررك.. احررك لتجدي غيري.. لماذا لم تجدي غيري؟

- لأنك آلمتني كثيراً.

قولها كان قاسياً ظالما.. وكرهت نفسها لحظة قالته.. واكملت:

- لا.. لا.. هذا ليس صحيحاً بالكامل توماس.. صحيح انك آلمتني.. وفوق قدرتي على التحمل..لم استطع في البداية أن اصدق انك طوال الوقت كنت تقول لي انك تحبني، وهناك امرأة غيري.. واصبحت خائفة أن اثق برجل آخر.. أن اصدق انه قد يحبني.. ثم كان لدي لايبي.. ملأت لي حياتي وقلبي.. اضافة الى هذا..

رفعت رأسها تنظر مباشرة اليه وتقول:

- لا جدوى من الكذب الآن.. فانا لم اتوقف لحظة عن حبك.. اوه.. حاولت.. حتى انني اقنعت نفسي بأنني نجحت.. لكنني كنت احلم بك ليلا واستيقظ مع الدموع. أتألم في داخلي من رغبتي بك.. من حبك.. من الممكن، لو انني تركت نفسي انساك، لكان هناك رجل آخر.

www.elromancia.com

- كما لو انني تركت نفسي انساك، لكان هناك امرأة اخرى.. ولقد فكرت بالامر.. مطلقة مع ولدين لا تريد اكثر منهما.. وبدا لي الحل الافضل، لكن كان هناك انت.. وذكريات ممددة عن الطريقة التي عشنا فيها، كانت ترفض ان تدعني ارغب في اي نوع من العلاقات الحميمة مع اي كان.. ليس انت. لا استطيع اعادة السنوات الضائعة لك كولريت.. لا استطيع اعادة اي شيء الآن لم استطيع اعطاءه لك منذ عشرين سنة.. لكن اذا كان هذا يساعد في شيء، سأقول لك انني لم اتوقف عن حبك. ولا توقفت عن الشعور لو ان الامور كانت مختلفة. احياناً، والله يسامحني، اتمنى لو انني لم اجد ابي، ولم اعرف شيئاً منه.

ارتجف، قليلاً، فمدت يدها تلامسه بلطف..

- لا بد انك اقتربت من كراهيتي لهذا، لأني انا التي افترست عليك التفتيش عنه..

هز رأسه:

- لا يمكنني كراهيتك.. مهما حصل.. كرهت نفسي مع ذلك.. كرهت نفسي لاستمرار في الرغبة بك.. لأنني لم اتركك حرة حقاً..

- لو انك قلت لي.. شاركتني السر..

- واسبب لك في النهاية التهرب، حتى.. كراهتي كما كره ابي امي وهجرها، وهجرني.. كما هجرني؟

ترددت قليلاً ثم سألت بهدوء:

- لو عرفت بامر لايبي.. اكان هذا..

قاطعها:

- لا تسأليني.. لأنني لا اعرف الرد.. كما كنت اشعر يومها.. الذعر، الخوف، كراهية الذات.. الله يساعدني، اظن انني كنت ساطلب منك الاجهاض اسف كولييت.. لكنني لا استطيع الكذب عليك.. ليس مرة اخرى.. حتى بعد أن ادركت لاول مرة انها ابنتي.. احسست بالذعر، والخوف.. خوف من رفضها لي، ورفضك لي.. من ادانتك لي.. واحساسي بحمل ذنبي لاني كنت متهوراً.

- انا التي كنت متهورة.

- لا بد انك تحتقريني للطريقة التي تصرفت بها اردت فعلاً ان تفكر لايبي بالتعقيم.. لكن حين جائت لمقابلتي، ادركت انها ابنتي.. طفلتي.. لذة ما احسست به، الرهبة.. لا استطيع وصفها. وكأنني أخطو من تحت ضبابة كثيفة، ظلامها وثقلها اصبح جزءا من حياتي حتى انني لم اعد احس بوجودها. فجأة وجدت شخصا استطيع الانفتاح معه.. مشاركته الاشياء.. فجأة ظهرت انت.

- لو انك تعدني فقط أن لا تخفي علي سراً... مهما كان مؤلماً.. ولأي منا..

وانحنى يقبلها واعداً.

بعد ساعة، كان اول شيء وقع نظرها عليه وهي تدخل غرفة النوم،

www.elromancia.com

الاطار الفضي، فتقدمت تنظر اليه، والسقت عيناها دهشة وهي تتعرف على الصورة كانت صورتها مع لايي. وقال معتذراً:

- اسف.. ما كان يجب أن آخذها لكنني لم استطع المقاومة.. سامحيني كولبيت.

- وهي تعانقه، عرفت انه لا يسعى الى الغفران بسبب سرقة الصورة.. وهمست باكية - اسامحك..

اسامحك توماس.

• • •

سألها الصبي الصغير بفضول

- لماذا تبكين؟

رد عليه صبي اكبر منه بتبجح:

- لأنها ام لايي.. والامهات دائماً يبكين في حفلة العرس.

من فوق رأسيهما نظرا اليها توماس بابتسامة مرحة وقال بهدوء:

- يجب أن اعترف.. احس انني على وشك كبح دمعة أو اثنتين.. اكبر بناتك تتزوج.

- انها وادى رائعان معاً.. ويقول انه مهتاج لفكرة ان يكون على رأسها عائلة كلها بنات.. دون منافسة من رجال آخرين.. او هكذا يدعي.. وعدد

وافر من الاناث الجميلات يدللنه.

- لا اريد افساد خياله.. فحين ارى ما انقلب اليه بناتنا الصغيرات المترجلات..

ضحكت كولبيت:

- لسن مترجلات اليوم.

ونظرا معاً الى ابنتيهما التوأم تقفان مع فتيات العرس وشعرهما مليء بالزهور.. وقال لها توماس.

- المظاهر قد تكون فادحة.. لقد شاهدتهن منذ دقائق تتحديان صبيّان على تسلق شجرة السنديان تلك.

ضحكت كولبيت. تضع رأسها على كتفه لقد استغرق الكثير من الوقت والجهد لاقناعه باعادة عملية خصويته.. ثم خاضا بالمشاكل في عملية تحديد الخصوبة والتي تؤكد ان البويضات لن تنتج سوى الإناث.

والقرار في انجاب توأم، كان متشاركاً، فلا احد منهما كان يرغب في ابنة وحيدة.. وكان قرار لم يندم عليه احد منهما في اي وقت من الاوقات.

في الناحية الاخرى من فناء الكنيسة، كان هناك نشاط عموم.. وشهقت كولبيت.

- اوه.. لا.. أنظر الى هذا!

www.elromancia.com

التفت توماس وكوليبيت ليراقبا ابا ساخطاً يساعد ابنه الصغير على النزول من فوق اغصان شجرة السنديان.. وليس ببعيد عنه وقفت البنات تتبادلان الابتسامات الخبيثة، على طريقة تآمر الأناث.. وقالت كوليبيت:

ـ لا يمكنك تركهما تنفذان بفعلتهما.. وليس من العدل أن يعاقب الصبي وهما اللتان دفعتاه!

ـ انت محقة.. سأذهب واتكلم اليهما.

بابتسامة لنفسها، راقبته كوليبيت، تعلم جيداً أن التوبيخ سيكون بطيئاً جداً ولطيفاً جداً.. وأن بامكان الطفلتين التلاعب بابيهما حول اصبعيهما. وهي تراقب الصبي يواجه امه الغاضبة، تنهدت.. صبي.. ابن سيكون امر رائعاً.. وربما لابنتيها الصغيرتين قد يتحقق هذا.

وهي تراقب الاب الفخور يتحدث الى التؤام، بدأت تتقدم نحوهما.. وراقبها توماس وكل الحب في عينيه.. لقد اعطته الكثير، وبسخاء.. بينما لايبي وادي يتبادلان القبلات، وآلات التصوير تلمع، امسك توماس يد كوليبيت يهمس لها:

ـ هل قلت لك مؤخراً كم احبك؟

• • •